القيم والأعراف الأخلاقية

في الحضارة العربية الإسلامية

دراسة تاريخية وتربوية تحليلية

للأستاذ

محمد فيصل شيخاني

القيم والأعراف الأخلاقية

في الحضارة العربية الإسلامية

٩٧/١٠/١٠٠٠

القيم والأعراف الأخلاقية في الحضارة العربية الإسلامية

دراسة تاريخية وتربوية تحليلية /محمد فيصل شيخاني/

حمص: [د.ن] ، ١٩٩٧ - ٢٠٠ص: ٢٥سم

١- ٢١٨.١ ش ي خ ق ٢-١١. ٣٧٠ ش ي خ ق

٣- العنوان ٤- شيخاني

مكتبة الأسد

التنضيد والإخراج الفني والطباعة

مطبعة اليمامة

حمص - هاتف ٤٧٨٥٠٠ - ص.ب ٣٧٥٩

القيم والأعراف الأخلاقية
في الحضارة العربية الإسلامية

دراسة تاريخية وتربوية تحليلية

للأستاذ
محمد فيصل شيخاني

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهـــداء

إلى أمي ...

التي تربت وربت على خلق العرب والإسلام

المؤلف

محمد فيصل شيخاني

أقسام الكتاب

الباب الأول: القيم والأعراف الأخلاقية في الحضارة العربية والإسلامية بتكليف من الجمعية التاريخية ووزارة التعليم العالي ١٩٨٠م-١٤٠٠هـ

الباب الثاني: أمثـال القيم والأعـراف الأخلاقيـة فـي حضارتنـا العربيـة وعددها ٤١١ مثلاً ١٩٩١.

الباب الثالث: الطريقة التربوية المقترحة ١٩٩٣.

الباب الرابع: نحن وهم ومستقبل الإنسانية أو العرب ومستقبل الحضارة

البـــــاب الأول

القيم والأعراف الأخلاقية في الحضارة العربية الإسلامية

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

في اعتقادنا أن التربية والمواطنة الصالحة والتفقه في أمور الحياة والعبادة تلازم الإنسان منذ ولادته، وترافقه في شبابه وكهولته، وشيخوخته، كفرد واحد أو كفرد في مجموعة، هم أقاربه وزملاؤه في المدرسة أو العمل أو المكتب أو في مكان العبادة وما شابه ذلك.

وهذه التربية أسلوب لتنظيم العلاقة بين الفرد والمجتمع وطريق للملاءمة بين الفرد والمجتمع واتجاه سلوكه لما فيه خير له ولأفراد مجتمعه.

شمولية التربية وعلاقتها بالقيم

ولقد تميزت التربية العربية الإسلامية بأنها شاملة تحيط بنفس الإنسان وجسمه وبعلاقاته مع الآخرين اجتماعياً وثقافياً واقتصادياً، وأهم مميزاتها الضمير الذي يجعل الفرد قرين النظام العام، وحامل جرس الإنذار إذا ما حاد الفرد قيد أنملة عن الحق والعدالة والصدق ومعاني الخير.

ولقد ارتبطت التربية الإسلامية بالقيم والأعراف الأخلاقية حتى نظر إليهما كشيئين مترادفين أو كشيء واحد تعددت أسماؤه، ويعرف البعض القيم الأخلاقية بأنها صفة مستقرة في النفس فطرية أو مكتسبة ذات آثار في السلوك بعينةمحمودة أو مذمومة./٢٩/ وأنواع السلوك منها ما هو أثر من آثار خلق في النفس محمودة كالعطاء عن جود أو الإمساك عن شح، ومنه ما هو استجابة لغريزة كالأكل، وثالثة استجابة إرادية لترجيح فكرة، ورابعة من قبل الآداب الشخصية أو الاجتماعية أو إطاعة للأوامر والتكاليف الإلهية. والحكمة ضبط السلوك وتوجيهه وفق مقتضى

العقل والدين، وترتبط الحكمة بمكارم الأخلاق والذكاء وقد مجدت النصوص الإسلامية الحكمة /٣٠/.

وقد وصف الخالق بأنه حكيم. وفي الآية "ولما جاء عيسى بالبيان قال جئتكم بالحكمة /٣١/ وفي الآية أدع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة /٣٢/.

ولا تساور الشكوك الإنسان في جدوى التربية المتمثلة بالقيم والأعراف الأخلاقية في الحضارة العربية الإسلامية ... فهي تعمق الإحترام للنظام تجاه المجتمع والفرد وبذلك تعز الإنسان الذي هو أثمن ما في الوجود وتعطيه دوره الذي يستحق.

وهذه القيم سلسلة غير متناهية من السلوك العام وثروة تربوية تفيض بمعاني الخير والإيجابية والوضوح، وقد اعترف الغرباء بجدواها اعتراف أصحابها بها.

إن انطلاقة تلك التربية في المدرسة، في المعمل والمكتب، وسريانها باستمرار لجديرة تحتذى دوماً ان الإنسان يتعلم باستمرار (أطلبوا العلم من المهد إلى اللحد).

الثبات على القيم

ولذا كان من الضروري والمناسب إتباع هذا الأسلوب القويم في إبقاء المواطن واثقاً من نفسه متبعاً خطا الحق والواجب بارتباطه بتربيته وقيمه، وإذا غابت عن فكره أجزاء منها، وجدها متمثلة أمامه في سلوك زملائه في العمل أو الوظيفة أو لدى الأفراد الموجودين في مكان عام بما يتعاملون به من قيم بناءة خيرةللجميع، لذا نرى أن تتعمق جذور هذه التربية، في كل مجالات الحياة بغية تحسين ظروف الحياة ودفع المجتمع نحو التقدم والإزدهار.

وإن تمسكنا بتربيتنا، بل بقيمنا العظيمة التي حققت في الماضي إنجازات وانتصارات، وحمتنا من مهاوي الهلاك عند تعرضنا للخطوب التي ألمت بالأمة العربية والإسلامية من خلافات داخلية ومن أطماع الغزاة المغوليين ثم الغزاة الصليبيين.

تمسكنا بقيمنا قمين بأن يعيدنا إلى ما هو حق لنا في حياة مليئة بالنظام والتفاهم والحق والعدل ويجعل تفاهمنا وتعاملنا مع الآخرين أكثر جدية وعدلاً، وأؤكد هنا على دور المعاملة بالمثل. وعندما نقول المزيد من التربية واتباع القيم الأخلاقية فإننا نؤكد على حياة متجددة ومتطورة باستمرار وقادرة على أن تتصدر الحضارة الإنسانية في التعامل البشري إجتماعياً وثقافياً واقتصادياً ودبلوماسياً ضمن مبدأ التعامل بالمثل.

التربية والحياة

المزيد من التربية المنسقة مع المستجدات الحياتية التي تتحدى البشرية عامة وتتحدانا نحن بشكل خاص، تدعونا إلى عمق الإقتناع بتربيتنا جميعاً كباراً وصغاراً، رجالاً ونساءً، ومن ثم نكون أقدر على الإستفادة منها مع استمرار وجودنا.

ما جدوى التربية للأفراد في المدرسة فحسب؟

ما جدواها إذا لم تطل كل أفراد المجتمع؟

ما جدواها إذا لم تطل كل أنواع التربية؟ التربية الإجتماعية والأخلاقية، والتربية من أجل الإعداد للحياة، التربية العلمية، التربية المتلائمة مع المستجدات والظروف الطارئة.

إذن يجب أن تطال التربية كل المجالات للفرد والمجتمع. وإن كل بنود التربية على مختلف أشكالها ومدارسها تتوضح بالقيم والأعراف الأخلاقية ما نحتاجه

لتطبقها الآن هو المضي قدماً بدراستها بعلنية وديموقراطية وواقعية، ولا أقول أكاديمية فقط، ومن ثم الانتقال لتطبيقها عبر الممارسات العلمية.

ولا نعتقد أن هناك آذاناً صماء من أجل التمسك بالقيم والأعراف العربية والإسلامية في العالم، لأن كل ما أفاد بجموعة وقيدها بالحق والعدل لجدير بأن يحترم ويقتدى به بين المجتمعات الأخرى، ونحن أبناء زماننا أحوج ما نكون إلى اتباع هذه التربية في كل مراحل الحياة.

ونحن لا ننكر أن ثمة أفراداً اعتادوا تقبل نمط الحياة والظروف التي ألفوها بغير تفكير، أن العودة لأصالتنا بفهم واضح يقوض كل التراكمات والنزاعات غير المفيدة التي لحقت بمجتماعتنا، بسبب الجهل والإختلافات والغزوات... ومن ثم تجعل هؤلاء الأفراد يقتنعون بما فيه الصالح العام ويطرحون النزاعات المعرقلة للقيم الأخلاقية وللوحدة العامة.

إن اتباع التربية العربية الإسلامية القائمة على العدل والتفهم والبصيرة، والتي تلائم التطور العلمي المثير، والبعيدة عن الجمود.

تفتح أوسع الآفاق أمام شبابنا ليتكيفوا مع يصادفنا من مستجدات حضارية فكرية أو علمية وبالأخص ما يصادفهم من مستحضرات الإختراعات الهائلة العدد في الكيفية والشكل والمضمون.

كما يجب علينا الاهتمام جدياً وباستمرار بالتجديد المتواصل لقدرة الأفراد العقلية وإغنائها دوماً وربطها بواقع البيئة والإنسان في بلادنا العربية.

إن الأشكال المتعددة للتطور الإجتماعي العالمي واعتبار العالم كله (وحدة بشرية لها مصالحها) يحتم علينا أن نوجد قدراً كبيراً من الاهتمام بها وللاقتناع بأن قوة الوطن بكل أفراده وليس ببعض أفراده ولهذا يجب أن نوجد أسساً واضحاً في

تربية المجتمع في كافة مؤسساته والمهيمنين عليه ونتخذ سلوكاً واضحاً في تسيير أمور تلك المؤسسات أي أن لانكتفي بالأمور الإدارية والتنظيمية بل نخرجها بسلوك تربوي إجتماعي رابط.

كما ويجب أن يكون من أمور تلك التربية إعتماد القدوة الحسنة لدى المسؤولين الكبار في تلك المؤسسات وأن يتفحصوا المسائل الجديدة التي تطرأ على حياة أفراد المجتمع كالعمل على حل مشاكل الآخرين وخاصة من الشباب حتى لا يصابوا بخيبة أمل وإحباطات في حياتهم.

إن من أمور التربية البالغة الأهمية التعود على اعتماد الذات وأن نوجد الإحترام للعمل والتقدير لمن يقوم بالعمل والبحوث العلمية والإجتماعية ومن يقوم بميدان الإختراعات وأن نشجع على ذلك ونوجه المخترعات من حيث يكون بفهم مكنونها وفوائدها وصيانتها.

الشباب

إن العالم المعاصر شديد التعقيد وهو بالوقت نفسه لصيق الصلة وسريعها إعلامياً وعلى الجميع في كل مكان بما فيه من مستحدثات الإختراعات وهول سرعة الإتصالات ولا سيما إذا أخذنا بعين الإعتبار أن بعض القوى تسعى لترويج قيم خداعة كاذبة لجرف الشباب إلى حمم تلك القيم والحيد عن الطريق المستقيم ودفعهم إلى الخمول وضيق الأفق، وهذا ما يعانيه العالم في كل أنحائه.

كما لا يغيب عن فكرنا تنظيم العلاقة الإجتماعية لدى أفراد الأسرة وبث علاقات المحبة والإحترام المتبادل حتى يطال علاقة (الكنة والحماة) وعلاقات الوالدين والأبناء والجيران أيضاً وعلينا تجنب الخطر من القيم الكاذبة التي هي أشد خطراً على شبابنا المتفتح من غيره لميل الشباب غير المتفهم إلى التجديد والتقليد،

لذلك علينا اليقظة التامة –وفي كل بلد عربي– في هذا الميدان بإيجاد البديل المناسب دوماً مع الواقعية في الشرح.

إن التربية المتفهمة الصريحة الواعية، والديمقراطية، وإشراك الطلاب والشباب في المسؤولية يبعد تلك المفاهيم أو على الأقل يضعف من تأثير تلك القيم الجانبية عنهم.

أهمية الثقافة

إن تثقيف الفرد العربي ومعرفته بقيمه وتطلعاته تجعله أقدر على الإبتعاد عن القيم الزائفة إذا ما جرت مقارنات بين قيمه الأخلاقية الحقيقية والقيم الزائفة، إذا ما جرت مقارنات بينها وبين زيف القيم الكاذبة التي مظهرها براق وداخلها شر وبلية. ومَنْ أقدر من الشباب على إقناع الشباب لذلك فإن لإشراكهم في المحافظة على قيمنا الموروثة لهو شيء بالغ الفائدة في أن يطبق من أجل خلق وإبداع قيم جديدة أخرى.

لقد تميزت تربيتنا العربية الإسلامية دوماً بملاءمتها للتطورات الحياتية والفكرية، وهذا شيء ضروري ومناسب بدون أن يخرج عن نطاق هذه التربية.

الثبات على الرأي

قد يضطر البعض إلى التسلح بالجمود والتقوقع، خوف العجز عن التكيف مع الأحداث الجديدة كالنظريات والأفكار الواردة من العالم، إني أقول هنا إن عناصر التربية من القيم والأعراف الأخلاقية الأساسية ثابت غير قابل للمساومة مثل الصدق والوفاء والتعاون والرحمة والتسامح وغير هذا كثير ولكن القيم الأخرى كالنظر إلى الأعمال والقضايا الإجتماعية والذوق العام والقضايا الأدبية فهذه متبدلة دوماً ومتطورة حتماً، ويجب أن تكون كذلك فلا نتقوقع ضدها، وأنا على قناعة تامة بأن

من يتمسك بالمبادئ والقيم الأخلاقية الحسنة -وفي كل الأنظمة الحكومية- يبقى وفي كل الظروف، وفي أسوأ الأحوال أكثر فهماً وراحة في التعامل مع الآخرين سواء كانوا من قومه أو من غير ملته وهو لا يسير في طريق الإنتهازية والمساومات مع قيمه الأخلاقية وضميره الشخصي ولا ينحرف مهما واجه من تحديات وإغراءات.

إننا نعلم أن ملايين العرب والمسلمين لم يتخلوا في أحلك الظروف عن قيمهم ومبادئهم رغم ما تعرضوا له من غزوات الإستعمارين القديم والحديث - ولذا بات من المؤكد أنه عندما ننظم أمور التربية بالشكل الصحيح واللائق وبالطرق الحديثة فسوف لا يئن الفرد ولا يتذمر مما يصادفه من مصاعب وعقبات.

إن الإنسان يولد على الفطرة ولا تولد معه القيم ولا تورث -هذه فكرة ونظرية عربية إسلامية- صارت تأخذ بها بلدان كثيرة في عالمنا- أقول أن الإنسان بما أنه على الفطرة فيجب على التربية، وعلى المجتمع، أن تجعل الإنسان العربي ابن زمنه وفي الوقت ذاته ابن قيمه وانسانيته.

ولذلك يترتب على كل جيل جديد أن يتبنى هذه القيم ويؤكد عليها اعتناقاً ومبدأً ونظاماً وتعاملاً مع أفراد مجتمعه وأفراد المجتمعات الأخرى ضمن مبدأ عام إننا لا نستهدف من اتباع تربيتنا الأضرار بأي مجتمع إنساني آخر وهذا مبدأ هام في التعامل الدولي.

المؤلف محمد فيصل شيخاني

حمص 1400-1980

القيم والأعراف الأخلاقية في الحضارة الإسلامية

والقيم المقصود لدينا في الأمور الإجتماعية تقويم الحادثة، تقدير الناس لها ونظرتهم إليها استنكاراً أو رضاءً.

أما الأعراف فهي ما تعارف الناس عليه وسلكوا مجالاتها أو هي "اطراد سلوك الأفراد في مسألة بعينها على نحو معين إطراداً مصحوباً بالإعتقاد في التزام هذا السلوك، وكان العرف هو المصدر الأول للقانون في المجتمعات القديمة، لكنه أصبح في معظم المجتمعات الحديثة مصدراً من الدرجة الثانية لا يلجأ إليه إلا عند نقص التشريع، ولا اعتبار لعرف فاسد يخرج عن النظام العام أو الآداب العامة، وما زال الجانب الأكبر من قواعد القانون الدولي العام أساسه العرف. وهو يكون الجزء الأكبر من قواعد القانون الإنكليزي، والعرف في الفقه الإسلامي، هو ما ألفه الناس في معاملاتهم واستقامت عليه أمورهم[1].

وسنحاول في بحثنا تحديد بعض القيم والأعراف الأخلاقية بتسلسل زمني اعتباراً من العصر الجاهلي حتى العصور الوسيطة من التاريخ العربي الإسلامي، وأخرى من أمم الشرق السامية القديمة مقارنين إياها مع آراء من أمم الغرب.

رابطين بين تقدم البشرية واستمرار بقائها بتقيدها بالأعراف والقيم الأخلاقية الحميدة.

الأمثلة التاريخية

وكل هذا بأمثلة تاريخية قليلة "إذ بلغ من غزارة المادة التاريخية المتحصلة من لجان السجلات وتآليف خواص البحاث أن جهر في العهد الأخير غير واحد من كبار الثقاة من تخوفه أن تفوق وفرة الإنتاج طاقة المؤرخين على الإستهلاك، لقد

أصبح من المتعذر من عهد بعيد على من يعاني التاريخ أن يحيط بجميع المواد[٢]".

متوخين الدقة متحرين الصدق، مبتعدين عن نظرة التشاؤم، (يقول السياسي الإنكليزي روبرت ولبول الذي رأس الوزارة الإنكليزية ١٧٢١-١٧٤٢م -أن التاريخ ليس أهلاً للدرس فنحن نعرف أنه يفترى الكذب لا محالة- إن دوام سريان الخطأ من مؤلف إلى مؤلف إلى مالا نهاية ليؤكد بعض الشيء قول القائلين إذا كان التاريخ لا يعيد نفسه فالمؤرخون، لا شك يعيد بعضهم بعضا)[٣].

وهذه القيم والاتجاهات الأخلاقية وثيقة الصلة بالوطنية والقومية والإنسانية في تاريخنا ونبراس للنشأ العربي إذ (ينبغي الإستفادة من تدريس التاريخ من أجل عرض نماذج من الشخصيات التارخية التي تقدم للتلميذ صورة نبيلة عن الأخلاق التي يجب أن يقتدى بها) وذلك لأن اتصال التلاميذ بشخصيات الماضي من أنبياء وملوك وقادة وزعماء وغيرهم، يولد عندهم الشعور بالإعجاب والتقدير لبعض شخصيات الماضي العظيمة، ويضع أمامهم أمثلة حية للتفاني في خدمة الوطن والتضحية في سبيله.

يضاف إلى ذلك أنه ينبغي الإستفادة من تدريس التاريخ لآجل تمكين التلاميذ من أخذ العبر والعظات من الماضي العربي والعالمي، عن طريق الإستفادة من الحسنات والاتعاظ بالسيئات وحوادث الفتن والإنقسامات)[٤].

"وكان المؤرخ توسيدس الروماني /٤٧١-٤٠١/ق.م يقول بدورة الشؤون البشرية بأنه العلم الدقيق بحوادث الماضي قد لا يفيد لأنه من المحتمل أن يحدث في المستقبل شيء من قبيل ما حدث في الماضي".

وإذا لم يعتبر التاريخ علما فلا قيمة له في بناء الأخلاق[٥]، وباعتباره علما ينتفع به في توسيع المدارك وتعويد الناس الإنصاف في الحكم، ووضع الأشخاص والحوادث في وضعها الصحيح على مسرح الحياة العامة.

"ان التاريخ حري أن يكسبنا تصوراً صحيحاً لما هو عارض مؤقت بالقياس إلى ما هو باق في حياة الإنسان"[٦].

وهذا يقتضينا إشغال الفكر وإعمال العقل للإنتباه إلى القيم والأعراف السائدة في المجتمعات، وهنا نلحظ دور التربية في ذلك المضمار وإن كان هناك بعض المحاذير.

علاقة العقل بالقيم

"يقول سيرت ج روبرت -إن خير أنواع التربية ما نمى أعظم مقدار ممكن من قوى العقل ومداركه- لكن بعضهم يقول أن أولئك الذين حشوا هابهم عقل خطر على المجنمع لأن من هؤلاء من كتب عليهم أن يكونوا قطاع طرق وتجار وغيرهم"[٧].

ونحن نقول أنه يجب ان ننمي في التربية في الإنسان قوة أخلاقية، نفاذة، نقادة، نقية، قادرة على كبح جماح العقل إذا حاد عن جادة الصواب ولج في طغيانه، ومن حسن الحظ أن أكثر التجارب التي أجريت أثبتت أن القيم والأعراف الأخلاقية تتلازم مع الذكاء والعقل الراجح، وهناك "آخرون يرون للتاريخ إدارة لرياضة العقل لكن أظهرهم مثل اللورد بولنجبروك وفدود يرون أن الفائدة الأخلاقية هي بالدقة ما يجعل للتاريخ قيمة من حيث التربية"[٨].

التاريخ عند ابن خلدون

ومصدرنا عن القيم والأعراف هو التاريخ والتواتر أحياناً، ولنصغي لتعريف ابن خلدون للتاريخ في مقدمته:

"أعلم أن التاريخ فن عزيز المذهب جم الفوائد، شريف الغاية، إذ هو يوقفنا على أحوال الماضين من الأمم في أخلاقهم، والأنبياء في سيرهم، والملوك في دولهم وسياستهم، حتى تتم فائدة الإقتداء في ذلك لمن يرون في أحوال الدين والدنيا، فهو محتاج إلى مآخذ متعددة، ومعارف متنوعة، وحسن نظر وتثبيت يفيضان بصاحبهما إلى الحق، وينكيان به عن المزالق والمغالط..."(٩).

وفي هذه نأخذ المثل الأعلى للتثبت من صدق الرواية والراوي وللمؤرخين العرب فضل كبير في دقة النقل وصدقه في العصور الوسطى والحديثة حتى صار صدق الكتابة ودقتها إحدى القيم والأعراف السائدة والمميزة بأصول علمية في التدقيق والتجريح لنصل إلى الحقيقة التاريخية ناصعة صافية.

"فالامام الغزالي يقسم الخبر إلى ما يجب تصديقه وإلى ما يجب تكذيبه وإلى ما يجب التوقف فيه........ وفيما يذكره في هذا الصدد أن دراسة بعض الخبر محتفة عند أكثر من منع نقل الحديث بالمعنى، ومن جوز النقل على المعنى جوز ذلك أن قد رواه مرة بتمامه... ونقل البعض تحريف وتلبيس... ونقل الحديث بالمعنى دون اللفظ على الجاهل بمواقع الخطاب ودقائق الألفاظ"(١٠).

ويدرس ابن الصح في مقدمته (علوم الحديث) أنواع الحديث التي منها الصحيح والحسن والضعيف والمسند والمقطوع والمدلس..."... كما درس كيفية رواية الحديث وشرط أدائه، ومعرفة كتابته وتقييده..." (١١).

وإذا كان التاريخ في رأي هرنشوليس علم تجربة واختيار لكن علم تحقيق ونقد، فإن مميزات الحضارة العربية في الناحية الفكرية تأتي جلية تهتم بالأمانة العلمية فقد حض القرآن الكريم والنبي عليه الصلاة والسلام، كما حض الاسلام وعلماء الحديث، على وجوب التثبت في قبول الأنباء "يأيها الذيم آمنوا إذا جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوماً بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين"[12]. واشهدوا ذوى عدل منكم..[13].

والخبر من حيث هو القيمة العليا التي يسعى إليها المجتمع أو القيمة التي يقدر العمل الانساني على ضوئها وما يتعلق بالحياة الأخلاقية، ويأتيها المعنى الشائع بصورة الأفعال الحسنة هي (جملة القواعد التي تتيح مراعاتها للإنسان بلوغ غايته ونحكم بالإستناد إليها على قيمة أفعالنا وأفعال غيرنا).

وأعلى مستوياتها هي سيادة الواجب وسيادة الحق والخير لمصلحة المجتمع واستمرار بقائه.

ولما كانت القيم والأعراف سلوك الأفراد وطريقة تفكيرهم ومفاهيمهم السائدة في مجتمعهم والمتعارف عليها بينهم فهي متشابكة بالحوادث التاريخية والمؤثرات الفكرية الدينية والنظم الاقتصادية السائدة إلى أنها كيانات متشابكة لها مظاهر معينة تمثل الخير أفضل تمثيل وترتبط بالنظريات المتعددة (صاحب النظرية العقلية). فقد -(قال اللورد أكنين ان من واجبنا أن نحيط بحركات الأفكار التي هي علة الحوادث، وأن نجعلها نصب أعيننا دائماً.. ويماثلها عند (دولنجر) الألماني توكيده لما للدين من قوة مؤثرة في التاريخ.

بينما دامت مدرسة الإشتراكيين فقالت بالتصور الإقتصادي أو المادي للتاريخ ودعت إليه.؟

ثم أن ما للعقل من سلطان قوي، وما للطبيعة البشرية والجماعات المنظمة من الدوافع الغريزية كل ذلك أعلنته مدرسة علماء التفس الإجتماعيين.

وفي وقتنا الحاضر فمن فلسفة المؤرخين لا تستقل بتفسير واحد للمجتمع الإنساني بل من ظواهر متعددة وأن لكل من الخلق والبيئة نصيباً من ذلك التقسيم خاصة به...)/١/١٤

ولكن كل هذه المؤشرات والأسباب التي تجتمع وتؤثر وتتأثر بالإنسان على ما في الوجود، ولكن كل بيئة بمجتمع يتميز بدرجات مختلفة من هذه المؤثرات.

أهمية الأخلاق

ومن ثم تتميز كل حضارة بشكل أو بآخر من مقومات الحضارة.

"أن الخاصة التي ميزت الحضارة الاسلامية من سائر الحضارات، هي أنها دارت رحاها على محور "الأخلاق" فإذا كانت حضارات أخرى قد أرست قواعدها -في المقام الأول- على "الفن" أو على "العلم" أو غير ذلك من الأسس كالزراعة والتجارة أو الصناعة، فإن الحضارة الإسلامية قد اختارت (الأخلاق) أساسا لها". (١٥)

وقد اعترف الغرب المسيحي ممثلاً بالبابوية بأهمية الأخلاق الإسلامية والتي تدحض الفكرة التي نشرت خطأ والتي تقول بعدم كفاية الأخلاق الإسلامية كما تدحض الفكرة الأخرى عن تعصب الإسلام.(١٦).

ولنستمع إلى آراء أخرى لمؤرخين أجانب ومنهم الأستاذ رينيه بيرجرون/٧/، عن القيم والأعراف الأخلاقية فيقول: إذا كان موضوع الفن والحضارة عبارة عن قسم من دراستي إلا أن قسم التاريخ الإسلامي هو سلاحي في المعركة ذلك لأن كتب التاريخ التي تدرس اليوم.... حملت أكاذيب مقصودة لتشويه التاريخ العربي.

ويعطي الأستاذ برجيرون أمثلة كثيرة على الأخلاقية الرائعة التي يحملها التاريخ الإسلامي.. يقول: في زمن هارون الرشيد أعطى شارلمان امبراطور الغرب حق التمثيل في الأراضي المقدسة أي بمعنى آخر كان للحجاج الغربيين أثناء الحكم العربي ملء الحرية في ارتياد الأماكن المقدسة بكل أمان وهذه من الحقائق التاريخية التي لم تصل.

ويقول في محاضرة له: ١٨

إني أسعى لوفاء دين مزدوج دين فردي شخصي لذلك الأعرابي الذي دخلت خيمته في الصحراء... وقد تهت عن سيارتي... فاستقبلني بذلك الترحاب وتلك البشاشة..... أنا حفيد الصليبيين، كانت تتجلى في كل حركاته صفات النبل والكرم، تتجلى صفاته العربية الأصيلة التي لها في التاريخ جذور عميقة تصل بنا حتى الحروب الصليبية، ماذا أقول الغزوات الصليبية.. وأود الآن أن أتحدث عن وفاء أو محاولة لوفاء دين يربط أعناقنا جميعاً نحن الأوربيين تجاه أمة العرب: في عام ٦٣٦م دخل الخليفة العربي المسلم عمر، مدينة القدس فقدم كبير أساقفتها مفاتيح الأماكن المقدسة وحان وقت الظهر وعمر في كنيسة القيامة فطلب إلى رجل الدين أن يدله إلى مكان يصلي فيه فأجابه هذا هنا، فرفض عمر قائلاً:

لو فعلت لطالب المسلمون بالقيامة، وخرج إلى الشارع فصلى.

ألا تجدون معي أيها السيدات والسادة في هذا العمل نبلاً وشهامة واحتراماً للأديان الأخرى؟ ماذا كان ردنا نحن الغربيين على ذلك بل ماذا كان رد المسيحيين الأوروبيين، لأن المسيحيين الشرقيين قاتلوا الصليبيين بجانب الإسلام، ماذا كان الرد؟ تجدون في تاريخ الحرب الصليبية أنه في عام ١٠٩٩ دخل جنود وفرسان أوربا، رسل المسيحية المتسامحة؟ دخلوا القدس وقد بلغت الدماء للركب.....

مثال آخر: عندما دخل صلاح الدين القدس لم يشتم أحداً، لم يهدم منزلاً بل على العكس طلب فدية عن الأسرى الأوربيين وأعتقهم وعندما بقي لديه الكثيرون أعتق ألفاً دونما فدية بطلب من أخيه الملك العادل، وذلك ثابت بشهادات عربية وأوربية"/19/.

وهذا رأي لأحد زعماء الحزب الإشتراكي الديموقراطي الألماني أوجست ببيل ورد في كتابه (الحضارة في العهد العربي الإسلامي) الذي صدرت طبعته الأولى عام 1884 حيث يهاجم فيه النظرة المتفوقة التي ينظر فيها الأوربيون المعاصرون.. والذين يصدرون أحكاماً مسبقة غير موضوعية على تاريخ الحضارة الإسلامية.... وعالج بين أمور أخرى موضوع العلاقة بين الدين والمجتمع وكان يعتبر التسامح الديني الذي تقوم عليه تعاليم محمد(ص9 تجاه الأديان الشرقية الأخرى ومن بينها المسيحية من.الأمور ذات الأهمية الخاصة.... وأكد الطابع التقدمي للتشريع والأحكام عند العرب.بمقارنتها بالقانون الأوربي الغربي الذي كان سائداً في ذلك الوقت... وأكد أوجست ببيل أن الإعتقاد السائد في خارج البلاد العربية بأن تعاليم القرآن الكريم تدعو إلى عدم الوفاء بالوعد تجاه الكافرين إعتقاد خاطئ... لقد كان من رأي الفقهاء العرب إطلاق سراح الرهائن حتى وإن نقض الجانب الآخر هذا الإتفاق... وكان العرب المسلمون يجمعون أثناء غزواتهم وفتوحاتهم كل المؤلفات التي يمكنها أن تفيد دراساتهم ومعرفتهم... وعلى العكس من ذلك دمر المسيحيون الأوربيون أثناء نشر تعاليمهم جميع المؤلفات العلمية واعتبروها رجساً من عمل الشطان. وأن من غير المعقول أن مكتبة الإسكندرية العظيمة قد تم تدميرها على أيدي المسلمين - (البرابرة) بزعامة عمرو بن العاص، والواقع أن المغتصبين

المسيحيين تحت قيادة ثيوفيلوس هم الذين دمروا هذه المكتبة عام ٣٩١م بجمع الأجهزة الفلكية والفيزيائية والرياضية التي تحتويها.

وكان بيبل يعتبر حدثين يظهران مدى تسامح الإسلام وعدم تسامح المسيحية، ففي القرن ١٧ منع الروستانت في فرنسا أتباعهم من إرسال أطفالهم إلى المدارس الكاثوليكية وعلى العكس من ذلك عهد الخليفة هارون الرشيد في القرن التاسع الميلادي إلى زعيم الطائفة المسيحية للنسطورين بتولي الرئاسة للمدارس ودور العلم في مملكته، كذلك عهد بتربية أطفاله إلى واحد من الطائفة المسيحية)[٢٠].

"وقال ميشو المؤرخ، وقد ارتكب الصليبيون في فتح القدس أنواع التعصب الأعمى الذي لم يسبق له نظير، حتى شكى ذلك المنصفون من مؤرخيهم، فكانوا يكرهون العرب على إلقاء أنفسهم من أعالي البروج ويجعلونهم طعاماً للنار، ويخرجونهم من الأقبية وأعماق الأرض ويجرونهم في الساحات...، ودام الذبح في المسلمين أسبوعاً حتى قتلوا منهم كما اتفق على ذلك مؤرخو الغرب والشرق سبعين ألف نسمة واليهود كالعرب لم ينجوا من الذبح، فوضع الصليبيون النار في المذبح الذي لجا إليه ابناء اسرائيل وأهلكوهم كلهم بالنار"[٢١].

وفي الأندلس نال العرب مثل ما نال أخوانهم في المشرق من ظلم المغتصبين "ذلك أن إيزابيلا وهي من أكثر النساء اللاتي عرفهن التاريخ ضيق أفق وإن تكن من أكثرهم نفوذاً، كانت كاثوليكية متعصبة ومن أول الأعمال التي قامت بها المملكة الإسبانية المتحدة الإستيلاء على دولة غرناطة الصغيرة وهي الدولة التي كانت تحت حكم سادتها المسلمين المستنيرين وقد وصلت إلى درجة من الرخاء والحضارة لا نظير لها في أي بلد آخر في شبه جزيرة ايبريا، بل في قليل من أسعد مناطق فرنسا وإيطاليا خطراً.

هل كان القضاء على هذه الدولة الإسلامية نقمة أم نعمة؟ هـذه المسألة يمكن المناظرة فيها بأساليب وحجج مختلفة، ولكن من دواعي الحكمة على الأقل أن نذكر أن مسلمي اسبانيا قد استجابوا لدواعي الفن والعلوم والفلسفة وإن حكمهم قد تميز بالتسامح... وإن طردهم.. كان الخطوة الأولى في سلسلة مستمرة من الإضطهاد الديني، نالت باستمرار من قوة اسبانيا وحيويتها" [٢٢].

بعض الأعراف والقيم عند الأمم القديمة

وإذا رجعنا القهقرى للبحث عن القيم والأعراف السائدة في العالم القديم نجد أن الدولة الآشورية تأسست على تلال من الجماجم وركام المدن وآلام الثكالى، كانت الطريقة تتلخص في أن يقوم الجيش الآشوري بعد قهر المدينة العدوة والإستيلاء عليها بإشعال النار فيها لتلتهمها عن بكرة أبيها... أما الرجال الأسرى فيأمر بقطع أيديهم وأرجلهم وصمل آذانهم وسمل عيونهم...، وكان يؤخذ رئيس القوم إلى العاصمة آشور ليسلخ جلده حياً إشباعاً لرغبة الملك الدموية ولذته الوحشية، ولم تكن هذه القيم وقفاً على المحاربين بل كانت[٢٣] آلهة آشور تمثل قسوتهم وبأسهم الحربي الشديد.. لقد كان تاريخ الآشوريين مجموعة من المعارك الطاحنة...... فثلوا العروش ونهبوا المدن وقتلوا وأحرقوا ودمروا وتفننوا في استعمال أنواع التعذيب وأدوات القتال..[٢٤].

وإذا ما انتقلنا إلى مناطق أخرى قديماً نجد أن أهل الحبشة كانوا غاية في الدقة من العقوبات بالقصاص بحيث إذا سقط صبي من أعلى الشجرة على زميله فقتله، فإن القاضي يحكم بأن ترسل الأم الثكلى آخر من أبنائها ليسقط من أعلى الشجرة على عنق الصبي الذي اقترف الذنب أول مرة"[٢٥].

ولا ندري ماذا يحدث إذا سقط ابن الثكلى الثاني ومات لأنه أخطأ الصبي الجاني؟.

"وعلى فإن كل العقوبات التي تقدر في حالة التعويض، قد تختلف باختلاف جنس المعتدي والمعتدى عليه وعمره ومنزلته، فالفيجيون -مثلاً- تعتبر السرقة الطفيفة يأتيها إنسان من سواء الناس، أشنع إجراماً من القتل يقترفه الزعيم وهذا ما حدث طوال تاريخ القانون القديم ففداحة الجريمة كانت تقل بعلو منزلة المجرم"[26].

ونفس الشيء نراه حتى في شريعة حمورابي صاحب مبدأ العين بالعين والسن بالسن[27] التي تعتبر أكثر تقدمية من غيرها حيث تقل فداحة الجريمة بعلو منزلة المجرم إذا كان من الأرستقراطيين. بينما تظهر ديموقراطية وعدالة القيم العربية الإسلامية في أن آل قريش وأهمهم شأن المرأة المخزومية التي سرقت، قال(ص): (إنما أهلك الذين قبلكم إنهم كانوا إذا سرق الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد، وأيم الله لو ان فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها" ومثال آخر: حكم عمر على ابن عمرو العاص حاكم مصر لاعتدائه على أحد الأقباط وقول عمر له (متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً). أو معاقبته بجلد ابن الأيهم عندما داس على رداء أعرابي أثناء الحج.

وإذا ما انتقلنا إلى شبه الجزيرة اليونانية في بلاد الإغريق القديمة نجد أن الشرائع الإسبارطية كانت تخرج جنوداً ولا شيء غير الجنود. وإنها جعلت قوة الجسم وحشية مرذولة لأنها أماتت الكفايات العقلية كلها تقريباً[28].

وفي أثينا مهد الديمقراطية كان المواطنون الإغريق من غير أهل المدينة يعاملون معاملة الغرباء ولا يسمح لهم بممارسة حقوقهم المدنية.

ويعرف البعض القيم الأخلاقية بأنها صفة مستقرة في النفس فطرية أو مكتسبة ذات آثار في السلوك بعينه محمودة أو مذمومة/٢٩/.

وأنواع السلوك منها ماهو أثر من آثار خلق في النفس محمودة كالعطاء وعن جود أو الإمساك عن شح ومنه ماهو استجابة لغريزة كالأكل، وثالثة استجابة إرادية لترجيح فكرة ورابعة من قبل الآداب الشخصية أو الإجتماعية أو إطاعة للأوامر والتكاليف الإلهية. والحكمة ضبط السلوك وتوجيهه وفق مقتضى العقل والدين وترتبط الحكمة بمكارم الأخلاق والذكاء وقد مجدت النصوص الإسلامية الحكمة[٣٠].

وقد وصف الخالق بأنه حكيم. وفي الآية "ولما جاء عيسى بالبيان قال بالحكمة[٣١] وفي الآية أدع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة[٣٢].

ضرورة الأحكام الأخلاقية للمجتمعات الإنسانية

ومكارم الأخلاق ضرورة إجتماعية، لا يستغنى عنها مجتمع من المجتمعات ومتي فقدت الأخلاق التي هي الوسط الذي لابد منه لانسجام الإنسان مع أخيه الإنسان تفكك أفراد المجتمع وتصارعوا وتناهبوا مصالحهم، ثم أدى بهم ذلك إلى الانهيار ثم إلى الدمار[٣٣].

وانهيار فرنسا في الحرب العالمية الثانية أمام الزحف النازي في يوم وليلة إنما كان انهياراً أخلاقياً[٣٤]، كما لاحظ ذلك بحق رئيس الجمهورية الفرنسية زمن الإحتلال في رسالته إلى ضمير الأمة الفرنسية صبيحة الهزيمة[٣٥].

والنزعة الإستعمارية المتأصلة في سلوك بعض حكام أوربا هي أيضاً من أبرز ظواهر الخراب الأخلاقي، بما يصحبها من استغلال وعنصرية وتآمر على مصائر الشعوب، ونهب لثرواتها وفتك أبنائها بالأبرياء[٣٦]. ولما كان التاريخ ماضي

الحوادث الإنسانية وكانت القيم الأخلاقية صفة خاصة بالإنسان، فالتاريخ خير شاهد على تطور هذه القيم أو ثبوتها كما يظهر أن لكل شعب قيمه المتميزة عن الشعوب الأخرى فبعضها امتاز بالحروب والبعض بالكرم والبعض الآخر بالحذر كما مر سابقاً، ولذا علينا أن تلقي نظرة على القيم منذ العصور الجاهلية إذ يروى أن عمر بن الخطاب قال: إننا ننقض عرى الإسلام عروة إذا دخل الإسلام من لا يعرف الجاهلية(٣٧)، ثم ألم يكن لدى العرب قبل الإسلام بقايا دين ابراهيم عليه السلام؟ ثم ألم يكن لدى العرب قبل الإسلام مجموعة من العادات الكريمة والمزايا الطيبة حافظ عليها الإسلام وتمسك بها، حتى قال رسول اﷲﷺ: " إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق" .

والباحث لا ينكر أنه كان هناك قيم وأعراف بالية سائدة لدى عرب الجاهلية مثل وأد البنات وشرب الخمر ولعب الميسر وعادات الغزو وعبادة الأصنام والإسراف(٣٩)، لكن كان هناك أيضاً أعراف وقيم لابد لنا من الإطلاع عليها. فمن القيم والأعراف المرغوبة في هذا المجتمع والتي اشترطها في المرشح لسدة الرئلسة: أن يكون شجاعاً كريماً، قوي الإرادة صامداً أمام الشدائد، صاحب تجربة، حنكته الأيام وأعطته الأيام الرأي السديد، حازماً غير متردد، غير مستبد برأيه يشاور قومه، لايشغله مال ولا ولد عن أمور عشيرته صحيح النسب غير دعي، وصاحب همة عالية/٤٠/. وأن يكون وفياً غير حقود.

ولا أحمل الحقد القديم عليهم وليس رئيس القوم من يحمل الحقدا

حليماً متواضعاً ذليلاً في نفسه لأفراد عشيرته.

ليس الغبي بسيد قومه لكن سيد القوم المتغابي

يتحمل جرائر أفراد قيلته، غنياً صاحب ثروة وقد ورد في عيون الأخبار ٢٢٦/١ أن العرب تقول سيد معمم، يريدون أن كل جناية يجنيها أحد من عشيرته معصوبة برأسه.

ثم كان من محاسن الأخلاق أن يجمع الأنساب مع الشجاعة والنجدة والكرم والمروءة بالوفاء وهي طبع في خلق العربي... وكان خطيب العرب وقائدهم في الحرب يقول: أن الحذر لاينجي من القدر، إن الصبر من أسباب الظفر، المنية ولا الدنية/٤١. ففي حضارة الرعاة يكون القائد بمثابة الراعي.... فإذا قتل تفرق القطيع... ولكن لم تكن الحالة كذلك عند العرب فالقائد لم يكن قائداً بل فرداً قدمته قبيلته فحمل رايتها فاذا ما قتل يتقدم من بين الصفوف من يحمل اللواء.... وفي الإسلام كذلك ففي وقعة مؤتة كان رسول ا لله ﷺ قد عين ثلاثة لها: زيد بن حارثة – عبد ا لله بن ابي رواحة، وجعفر بن أبي طالب واستشهد الثلاثة بشكل متوال، ولكن الجيش لم يفر إذ تناول الراية رجل من المحاربين حتى اتفق القوم على تولية خالد بن الوليد للقيادة عندئذٍ(٤٢).

وقد وجد أفراد ضربوا أروع الأمثلة وأخلدها في العطاء والكرم... وهذا العصر كان عهد قصي بن كلاب الذي اعتبر جميع الحجاج إلى الكعبة ضيوفه، وهو عصر هاشم الثريد لأهل مكة... وعصر حاتم طي... أما الوفاء في هذا العصر فقد مثله السموءل وهاني بن أبي قبيصة(٤٣)، وعندما يصل أحد السادة إلى درجة الحكمة فإن شهرته تطير في الآفاق ويقصده الناس من كل حدب وصوب ويحكموه في خلافاتهم ومشاكلهم(٤٤).

ولم تكن السيادة تورث إلا إذا استحق ابن السيد ذلك نالها . عن جدارة/٤٥.

وبالمناسبة كانت تسود بعض القيم المغايرة مثل تبادل عادات الغزو بين القبائل أو قيام الحروب بينها لأتفه الأسباب مثل حرب داحس والغبراء، وما تجره الغزوات من استرقاق واستعباد.

وعندما جاءت الرسالة الإسلامية واكتملت بنودها أبطلت قيم وأزيلت أفكار وأعراف، فتبلورت في المجتمع قيم جديدة سنعرض لذكرها.

قامت خلافة الراشدين التي كان الحكم فيها مشاعاً بين خير المسلمين.... يقول الماوردي: إن الإمامة والخلافة وضعت لخلافة النبوة في حراسة الدين وسياسة الدنيا، وهي نظام واجب بالإجماع عليه، يقيمه بعضهم على العقل، وذلك لأنه لولا الولاة لكان الناس فوضى مهملين وهمجاً ضائعين.....(٤٦).

وهناك شروط وضعها الفقهاء المتأخرون وقالوا بوجوب توفرها فيمن يكون مرشحاً للخلافة وهي: العدالة، العلم، سلامة الحواس، سلامة الأعضاء، الرأي الشجاعة، النجدة والنسب "وهذا الشرط لم يلق قبولاً لدى عامة المسلمين كالخوارج مثلاً...."

أما واجبات الخلافة فهي: حفظ الدين وتنفيذ الأحكام بين المتشاجرين، حماية البيضة إقامة الحدود، تحصين الثغور، جهاد من عاند الإسلام، جباية الفيء والصدقات، تقدير العطايا، استكفاء الأمناء....(٤٧).

وسادت فكرة المساواة في المجتمع العربي الإسلامي الجديد، وأصبح الجميع سواسية كأسنان المشط، ولكن حدثت أمور مثبطة استمدت مادتها من الماضي فقد أدت العصبية في العصر الأموي إلى التفريق في المعاملة بين العرب والموالي لدرجة أن الدولة لم تعد تفرض العطاء للموالي المحاربين.... ولم تسمح لهم بركوب الخيل.... وكان العربي لايزوج ابنته لمولى.... أما في أوساط أهل الدين والتقى والعلم والمعرفة

الدينية فقد كانت نظرة المساواة هي السائدة/٤٨/. وحين سوى المختار في العطاء بين العرب والموالي ازداد عدد الموالي المنضمين إليه ضد الدولة الأموية... وقد أدت المعاملة السيئة للموالي من قبل الأمويين... إلى انضمامهم إلى الحركة العباسية.

وفي مدة قليلة نسبياً استطاع المسلمون أن يستوعبوا حضارات الأمم السابقة ويلائموها مع أعرافهم فأوجدوا مؤسسات جديدة وفق نظم دينهم ومعيشتهم والأوطان الجديدة والمناخ الجديد، وعملوا على تنظيم حماية البلاد المحررة وتخليص أهلها من الظلم والفوضى، وأقاموا الحدود وصانوا الثغور ونظموا جباية الفيء والصدقات بشكل عادل، فأوجدوا ديوان الجند لتنظيم الأعطيات وديوان الرسائل لإبلاغ اوامر الخليفة وتلقي أخبار الولايات وغير هذا، كما قاموا بتعريب نظم الإدارة، وصكوا العملة وأنشأوا الوزارات ونظام الإحتساب على ضوء معطيات الدين الجديد. كما تمت تنظيم مهمة في تطبيق العدالة في المؤسسات القضائية والمالية والحربية/٤٩/. ومن رسالة تنسب إلى عمر بن الخطاب إلى عبد الله بن قيس قوله: القضاء فريضة محكمة.... آس بين الناس في مجلسك ووجهك حتى لايطمع شريف في حيفك ولا ييأس ضعيف من عدلك، البينة على من ادعى واليمين على من أنكر، والصلح جائز بين الناس إلا صلحاً أحل حراماً أو حرم حلالاً... وأعلم أن مراجعة الحق خير من التمادي في الباطل(٥٠).

وكان القضاة يتمتعون باستقلال تام..... وتعيينهم يتم من قبل الخليفة.... أما القصاص والحدود فكانت ترجع إلى الخلفاء وولاة الأمصار، وكان القضاة غير مقيدين برأي قبل نشوء المذاهب. وكانت الشروط المتوفرة في القاضي نهاية في المثالية والقوة، أما المظالم فكانت من اختصاص الخلفاء زمن الأمويين ثم تولاها بعض الولاة أو القضاة أحياناً(٥١).

القيم في الحياة الإجتماعية

إن العوامل التي ساعدت على انحراف الحياة التي رسختها القيم الإسلامية بدخول اللهو والمجون بعض أوساط المجتمع ولتجمع ثروات كبيرة بين أيدي الناس، وكون جزيرة العرب أصبحت جزيرة المسلمين بالإضافة إلى كثرة الأسرى والتسري وتأثيرهم، وأيضاً ما ساهمت به السلطات الأموية بشكل غير مباشر في تشجيع اللهو والمجون عن طريق الحجر السياسي الذي فرضوه على أغلب أفراد الأرستقراطية في الحجاز وأيضاً بسبب إنتقال العاصمة إلى دمشق والتعرف إلى أساليب جديدة في الحياة منها: حب الفنون، والعيش الناعم الراغد(٥٢).

فقد ظهر الغناء من أصل فارسي أو يوناني في الحيرة، وأغلب المغنيين من الموالي وكان الموسيقيون إجمالاً لا يتمتعون باحترام المجتمع(٥٣). أما الخمر فكانت تجارتها - منذ الجاهلية- بيد اليهود والنصارى، وعند تحريمها في الإسلام خفت عادة الشرب لكنها عادت في العصر الأموي عند بعض ذوي الرئاسة... ولم يكن هناك علاقة بين الشرب والإستماع للغناء ولكن كان شرب الخمر مذموماً دوماً للسادة والاشراف وذوي المكانة(٥٤). ويقتضينا التحدث عن القيم والأعراف الأخلاقية أن نذكر صفة الالزام فيها، فقد قال جيبو في كتابه نحو أخلاقية بلا إلزام ولا جزاء، إذا لم يكن هناك إلزام فلا مسؤولية ومن ثم فلا عدالة فتتفشي الفوضى ولكنه ليس إلزاماً خارجياً بل ما عرفه الفيلسوف كنت (نحن مشرعون ورعايا). ففي حديث صحيح قال(ص) إذا أراد الله بعبده خيراً جعل له واعظاً من نفسه(٥٥).

أما المسؤولية فترتبط وظيفياً بالشخصية ولا يطبقها إلا الإنسان العاقل الواعي فإذا ما تحددت افعاله تعين أن يكون مسؤولاً عنها بإرادته الحرة، والمبدا القرآني مبدأ فردي يستبعد كل مسؤولية موروثة أو جماعية وأن وجدت فللضرورة القصوى(٥٦).

أما الجزاء فهو يرتبط بالتوبة إذا امتنع الإنسان عن محاسن الفضيلة والعبادة أو إذا لم يقبح الرذيلة، ويعتمد على أوامر إيجابية تحتاج الجهد الأخلاقي واتباع القدوة الحسنة والصدق (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين)[٥٦] مكرر. وتحريم الأذى كقتل الإنسان نفسه أو غيره[٥٧] أو الطمع في الآخرين والظلم والضلال...[٥٨].

أما النية فهي فضيلة على العمل لكنها لا تكفي إلا أن تكون مقرونة بمحاولة التنفيذ، أو الممنوعة عرضاً "وأن الاهتمام بتحقيق الخير الأخلاقي الذي يدرك دون كبير عناء في أكثر الأوامر الواضحة عدلاً لا ينفصل مطلقاً عن ضمير المؤمن عن شعور يجده في نفسه، يتفاوت في درجة غموضه ولكنه في طياته رضاه العام، وغير المشروط بكل القواعد الأخرى، وبدون هذا الرضى لن يكون جديراً بهذا اللقب"[٥٩].

أما الجهد: فهناك جهد المدافعة تجاه القيم سلباً أو إيجاباً، والجهد المبدع للعمل المناسب للخير العام[٦٠]. "اعملوا فسوف يرى الله عملكم"/٦١/ ونعم أجر العاملين/٦٢/.

العناصر الخلقية في المدنية

لما كان المجتمع المتقدم يستحيل قيامه بغير نظام، والنظام لايكون بغير قانون فلنا أن نعممها قاعدة من قواعد سير التاريخ بأن قوة القيم والأعراف تتناسب مع استمرار القانون الأخلاقي والنظام.

والأعراف والقيم التي تسود في مجتمع ما تختلف زمنياً في درجة سيادتها وعمقها حسب الظروف والمتغيرات وقد يظهر للباحث أنها تلاشت واندثرت، ولكنها لا تلبث أن تظهر بأجلى معانيها في العرف العام وغالباً نجد أنها تتقلقل

عقب الحوادث أو أثناء الفتن وعقب الحروب، ففي فتنة الأمين والمأمون انطلق الغوغاء في بغداد يخربون كل فضيلة ويعتدون على كل حق.

ونجد في القيم والأعراف العربية الإسلامية الإعتدال والشمولية وعدم التزمت ، قال الرسول الكريم(ص)[٦٣]: إن الله فرض فرائض فلا تضيعوها، وحد حدوداً فلا تعتدوها، وحرم أشياء فلا تنتهكوها، وسكت عن أشياء رحمة بكم،.... فلا تبحثوا عنها، وفي الآية١٠١ من سورة المائدة "يأيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء ان تبد لكم تسوءكم"[٦٤].

وإذا علمنا أن هذه القيم حصيلة معاناة الحياة وحسب ما ورد في القرآن الكريم، والسنة والإجماع والقياس والفلسفة الأخلاقية، نقول في الفلسفة أن القرآن لا ينكر الفلسفة الحقة، وليدة التفكير الناضج وعاشقة اليقين ولا يكفي كذلك أن نقول: أنه يوافقها ويشجعها وأنه يرتضي بحثها المنصف بل ينبغي إلى ذلك أن يمدها بمادة غزيرة في الموضوعات والإستدلالات[٦٥].

وعلى العموم فإن القيم والأعراف في الحضارة العربية الإسلامية تسمو لإنشاء المواطن الصالح الشاعر بكرامته وعنفوانه، وتتمثل الأخلاق الكريمة البناءة بما يلي[٦٦]:

١) قيم فردية يتحلى بها الفرد بنصرة الحق والأخلاق الكريمة[٦٧] والتمتع بالحكمة[٦٨] وأن لاينكر الجميل وأن يكون محباً للتعاون[٦٩] والعلم[٧٠] والعمل[٧١] متواضعاً[٧٢] معتدلاً، سليم النية صبوراً[٧٣] شجاعاً[٧٤] رحيماً[٧٥] وأن يبتعد عن الكذب والنفاق والبخل وتعاطي المنكرات[٧٦].

٢) قيم أسرية نحو الأصول بالإحترام والطاعة[٧٧] ونحو الفروع بحسن التربية والرعاية والعطف[٧٨] وتجاه الأزواج باجتناب العلاقة المحرمة، واستمرار العلاقة المحبة

المتبادلة والمساواة [٧٩] والتشاور[٨٠] والتحكيم عند الإختلاف[٨١]. كما أكدت على أن الأقارب أولى بالمعروف، واهتمت بصلة الرحم وأن الإرث فضل من الله وليس حقا.

٣) قيم اجتماعية: تتمثل بإفشاء السلام وحسن الأدب[٨٢]، والصفح/٨٣/، وتنظيم العقود والوفاء بالوعد/٨٣/ مكرر. والشهادة الصادقة وإصلاح ذات البين/٨٤/ والتراحم، والإحسان إلى الفقراء وعدم الإساءة وأن كان الصفح أولى/٨٥/، والعلو/٨٦/ والكرم/٨٧/ والعدالة/٨٨/، وتجنب قتل النفس والغير/٨٩/ ومنع كل تملك بغير عمل والإبتعاد عن الظلم والغدر وشهادة الزور، وقول الزور، وقول السوء/٩٠/ /٩١/ والتجسس والتعاون العام.

٤) قيم متبادلة بين الحاكم والشعب: كالطاعة، والمؤازرة، واتباع النظام، وتجنب موالاة العدو وعلى الحاكم المشاورة/٩٢/ وتطبيق العدالة وسيادة النظام وصون الأموال العامة.

٥) قيم إنسانية: تتضح بالرباط الإنساني المقدس[٩٣] والوفاء بالعهد والمعاملة بالمثل.

هذا غيض من فيض من القيم الأخلاقية التي امتازت بها الحضارة العربية وساهمت بتعميق وحدة العرب والمسلمين في الماضي والحاضر، في السلم والحرب على السواء، وجعلتهم يصمدون أمام الغزوات الأجنبية والمطامع الإستعمارية المستمرة التي تعرضت لها البلاد العربية.

بعض الأعراف والقيم البارزة في الحضارة الإسلامية

١) من الأعراف التي بهرت سكان البلاد المحررة والعالم أجمع تلك القوانين الرحيمة التي حملها العرب في الحروب، قال أبو بكر ليزيد بن أبي سفيان عندما أرسله لتحرير الشام:

(إنك ستجد قوماً حبسوا أنفسهم لله، فذرهم وما حبسوا أنفسهم له -يعني الرهبان- ثم قال: إنني موصيك بعشر: لا تغدر، ولا تمثل، ولا تقتل هرماً، ولا امرأة، ولا وليداً ولا تعقرن شاة، ولا بعيراً إلا ما أكلتم ولا تحرقن نخلاً، ولا تخربن عامراً، ولا تغل ولا تبخس. وكان عمر بن الخطاب يقول عند عقد الألوية: امضوا بتأييد الله، ولزوم الحق والصبر، فقاتلوا في سبيل الله... ولا تعتدواإن الله لا يحب المعتدين، ولا تجبنوا عند اللقاء، ولا تمثلوا عند الظهور....[٩٥]. وقال عمر بن عبد العزيز لقائد جيشه ابن الجراح: اغزوا بسم الله في سبيل الله....... لاتغلوا ولا تغدروا ولا تمثلوا[٩٦].

وقد أثر العرب بثقافتهم وقيمهم وأعرافهم فيمن جاء بعدهم من أقوام، فقد قال السلطان محمد الفاتح قبل فتح القسطنطينية لكبار رجال حاشيته: إذا تم لنا فتح القسطنطينية تحقق فينا حديث رسول الله (ص٩ ومعجزة من معجزاته وسيكون من حظنا ما أشاد به هذا الحديث من التقدير، فابلغوا أبناءنا العساكر فردا فردا... يجب على كل جندي أن يجعل تعاليم شريعتنا الغراء نصب أعيننا فلا يصدر عن أحد منهم ما يجافي هذه التعاليم وليتجنبوا الكنائس والمعابد ولا يمسوها بأذى ويدعوا القساوسة والضعفاء والعجزة...[٩٧].ونرى الرحمةوالتسامح بالغين حد الإعجاب عندما أعان علي بن الحسين مروان بن الحكم الأموي رغم مقتل أبيه على يدي بني أمية إذ أنه لما أخرج أهل المدينة عثمان بن محمد[٩٨] من المدينة كلم مروان بن الحكم

علياً قائلاً: إن لي رحماً وحرمي تكون مع حرمك. فقال علي افعل: فبعث بحرمه إلى علي بن الحسين وخرج هذا بحرمه وحرم مروان حتى وضعهم بينبع(٩٩).

ويضاف إلى الرحمة في القيم مبدأ الرفق الذي هو مبدأ إسلامي إنساني يعتبره الإسلام بصورة عامة فيجعله في جميع شؤون الحياة ويجعل منه سمة تميز المؤمن، وعنصراً يقوي الإيمان وفضيلة تزين العمل وفي ذلك يقول (ص) في رواية مسلم: (إن الله رفيق يحب الرفق...). وينظر الإسلام إلى عالم الحيوان أيضاً نظرة واقعية ترتكز على اهميته في الحياة ونفعه(١٠٠). وهل ننسى دخول إمرأة النار في قطة حبستها، وقوله(ص) (في كبد رطبة اجر) عن رجل سقى كلباً عطشاً(١٠١) وفي الفقه الإسلامي يقول الدكتور أنريكو أنساباتو في كتابه الإسلام وسياسة الخلفاء: لا يجوز قط أن يهدم هذا الصرح العظيم من العلوم الإسلامية، وأن لا نغفل شأنه، أو أن تمسه يد بسوء وأنه أوجد للعالم أرسخ الشرائع ثباتاً(١٠٢).....

٢) **ومن القيم المميزة الوفاء**، نذكر منها حادثة هذا الإنسان العربي البسيط أبي محجن عندما أتى به إلى سعد بن أبي وقاص، وقد شرب خمراً يوم القادسية فأدبه إلى القيد، قال: وكانت بسعد جراحة... فصعدوا به لينظر إلى الناس (ليشرف على المعركة) قال فاستعمل يومئذ على الخيل خالد بن عرقطة فلما التقى الناس قال أبو محجن:

كفى حزناً أن ترتدي الخيل بالقنا وأترك مشدوداً عليّ وثاقيا

ثم قال لامرأة سعد: أطلقيني، فلك الله علي إن سلمني الله أن أرجع حتى أضع رجلي في القيد وإن أنا قتلت استرحتم مني..... فركب فرساً لسعد يقال لها البلقاء وخرج فجعل لايحمل على ناحية من العدو إلا هزمهم... وجعل سعد ينظر إليه ويقول: الصبر صبر البلقاء والطعن طعن أبي محجن، وأبو محجن في القيد، فلما هزم

ا لله العدو ورجع أبو محجن حتى وضع رجله في القيد، فأخبرت امرأة سعد سعداً بالذي كان فقال: لا وا لله قد كنت أشربها حيث كان الحد يقام علي واطهر منها وأما اليوم فوا لله لا أشربها.

وقد وصف رومي العرب عندما استفسر هرقل عنهم قال: أحدثك كأنك تنظر إليهم: فرسان بالنهار، رهبان بالليل، ما يأكلون في ذمتهم إلا بثمن(١٠٤).

روى البلاذري أن هرقل لما جمع المسلمين الجموع وبلغ المسلمين اقبالهم....... ردوا على أهل حمص ما كانوا أخذوا منهم من الخراج وقالوا لقد شغلنا عن نصرتكم والدفع عنكم فأنتم على أمركم فقال أهل حمص: لولايتكم وعدلكم أحب إلينا مما كنا فيه من الظلم والغشم ولندفعن جند هرقل عن المدينة مع عاملكم(١٠٥).

بمثل هذا الوفاء وبمثل هذه الأمانة والعدل والإحسان استمال العرب القلوب فأصبح أعداؤهم أولياءهم بعد أن شاهدوا ما انطوت عليه تلك القلوب الكبيرة(١٠٦). ويتضح الوفاء بالعهد وتطبيق العدالة فيما حدث في سمرقند زمن خلافة عمر فقد قال أهل سمرقند لسليمان(١٠٧) أن ابن قتيبة(١٠٨) غدر بنا وظلمنا وأخذ بلادنا وقد أظهر ا لله العدل والإنصاف فائذن لنا فليفد منا إلى أمير المؤمنين(١٠٩) يشكو ظلامتنا فان كان لنا حق أعطيناه فإن بنا إلى ذلك حاجة فأذن لهم فوجهوا منهم قوماً، فقدموا على عمر فكتب إليهم عمر إلى سليمان بن ابي السرى أن أهل سمرقند قد شكوا ظلماً أصابهم وتحاملا من قتيبة بهم حتى أخرجهم من أرضهم فاذا أتاك فاجلس لهم القاضي فلينظر أمرهم فان قضى لهم فأخرجهم إلى معسكرهم كما كانوا وكنتم قبل أن ظهر عليهم قتيبة قال: فأجلس لهم سليمان جميع بن سليمان القاضي فقضى أن يخرج عرب سمرقند إلى معسكرهم فيكون صلحاً جديداً أو ظفراً عنوة، فقال أهل السغد بل نرضى بما كان ولا نجدد حرباً فتراضوا على ذلك(١١٠).

٣) الشجاعة والصبر والإقدام والتضحية:

من القيم والأعراف المميزة للحضارة العربية والإسلامية فهل ننسى نضال المشارقة ضد الفرنجة والمغول في الماضي وتضحيتهم بالغالي والرخيص في سبيل بلادهم ومثلهم وبقائهم في الماضي، ونضال وتضحية الجزائر في العصر الحديث وتخلصها من الإستعمار الذي كان يجثم عليها في المغرب والأمثلة كثيرة في كل أنحاء العالم العربي والإسلامي عن مقاومة الإستعمار والصهيونية الآن جاء في الآيات البينات: "يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون، وأطيعوا الله ورسوله، ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم، واصبروا مع الصابرين"([١١٠] مكرر).

قال أبو بكر في خطابه لخالد بن الوليد: احرص على الموت توهب لك الحياة، وقال علي بن أبي طالب لابنه الحسن: لا تدعون أحداً إلى المبارزة، وإن دعيت إليها فأجب فإن الداعي إليها باغ، والباغي مصروع[١١١]. فالعرب تقول الشجاع موقى، والجبان ملقى[١١٢].

٤) في الحياة الإقتصادية والأمور العامة:

لقد نظم الإسلام الحياة الاقتصادية أحل البيع والشراء ونظم المعاملات التجارية واعتبرها طريقاً للكسب المشروع[١١٣]. وتعددت الآيات التي توضح ما يجب أن يتحلى به المسلم من خلق في شؤون البيع والشراء فأوجبت الصدق في الكيل والميزان وعدم بخس الناس أشياءهم/١١٤/. وتضمنت الأحاديث الشريفة حضاً على الصدق والأمانة/١١٥/ وعدم التدليس.

وقد تعددت تطبيقات القيم في الناحية العملية اليومية وخير شاهد على ذلك الأوقاف الخيرية الخاصة بكل ناحية من نواحي الحياة فأوقاف ذرية للأقارب وأخرى

للفقـراء وثالثـة للتعليـم وبعضهـا العنايـة للمسـاجد ودور العلـم ممـا لانجـد مثلــه في حضارات الأمم الأخرى.

وقد حفرت الآبار على الطرق مما مكن المسافرين من الحصول على المـاء.وأول من وجه العناية إلى الإهتمام بطرق المواصلات وحفر الآبار الوليـد بـن عبـد الملـك، كما اهتم كثير من الأغنياء بأمر المسافرين وتوفير الماء لهم فيروى الشافعي أن جعفـر بن محمد كان يشرب من سقايات كأن يضعها الناس بين مكة والمدينة/١١٦/.

٥) **عدم التفريط في حقوق الأجيال المقبلة** وهـذا مـا نـراه في كتـاب الخـراج لأبي يوسف القاضي عن عمل عمـر بـن الخطـاب (فلمـا جـاء فتـح العـراق/١١٨/ شاور الناس... في قسمة الأرضـين الـتي أفـاء الله علـى المسـلمين مـن أرض العـراق والشام فتكلم قوم وأرادوا أن يقسم لهم حقوقهم وما فتحوا فقال عمر: فكيـف.بمـن يـأتي مـن المسـلمين؟ فيجـدون الأرض بعلوجهـا قـد اقتسـمت وورثـت عـن الآبـاء وحيزت؟ ما هذا برأي؟ فقال عبد الرحمن بن عوف: فما الرأي؟ ما الأرض والعلوج إلا مما أفاء الله عليهم، فقال عمر: ما هو إلا كمـا تقـول ولسـت أرى ذلـك، والله لايفتح بعدي بلد فيكون فيه كبير نيل بل عسى أن يكون كلا علـى المسـلمين فـإذا قسمت أرض العراق بعلوجها وأرض الشام بعلوجها فما يسد به الثغور؟ وما يكون للذرية والأرامل بهذا البلد؟ وبغيره من أهل الشام والعراق) ولا حاجة للتعليـق علـى هذه الحادثة.

٦) حب العلم والإهتمام به:

تميزت الحضارة الإسلامية العربية بتلك النظـرة المليئـة بالإحـترام إلى العلـم فقـد حض القرآن الكريم على العلم في آيات كثيرة "وهل يستوي الذين يعلمون والذيـن لايعلمون" وفي الحديث أطلبوا العلـم مـن المهـد إلى اللحـد، وطلـب العلـم فريضـة،

وأجمل مثل على تقدير العلم فداء أسرى المشركين في معركة بدر مقابل أن يقوموا بتعليم صبيان المسلمين وقد تمثل ذلك بتلك المدارس والحلقات والكتاتيب تلك التي استمرت في أقصى الظروف الحرجة التي مرت بها البلاد، إن تأسيس كلية كان بالنسبة إلى الأمراء السلجوقيين عملاً يدل على التقوى مثل إنشاء مسجد أو فتح مدينة/١١٩/.

٧) أما المساواة والديمقراطية الحقة:

فهي معروفة للجميع فقد كانت أبواب الخلفاء الراشدين مفتوحة للجميع و لم يكن هناك تمييز بين عربي وغير عربي إلا بالتقوى/١٢٠/ وقد كان المجتمع الإسلامي ينظر باحترام لبلال الحبشي ونعيم الفارسي وإلى غيرهما ونذكر كيف قابل عمر رسول الروم تحت ظل شجرة بكل بساطة ولا عرش فطبيعة العربي ودينه تأبيان التعالي. فلا عنصرية ولا عصبية ولا فضل في قيم وأعراف الحضارة العربية الإسلامية فقد تولى مصر كافور الإخشيدي رغم أنه كان مملوكاً حبشياً سابقاً.

إن الديمقراطية الحقيقية هي التي أدهشت سكان البلاد المتحررة وجعلتهم يدخلون في حمى الدولة العربية زرافات ووحدانا.

هل ننسى موقف أبي ذر الغفاري وغضبته تجاه معاوية لبعده عن البساطة والديمقراطية وتمثله بالروم في الملبس والمسكن والمأكل؟ وقول عمر بن عبد العزيز لواليه على مصر لقد أرسل الله محمد(ص) مرشداً وليس جابياً، حتى ليعزى إلى خلق العربي وميله إلى الحرية والمساواة، نشوء حركات الخوارج وغيرها من الحركات التي أربكت الخلفاء الأمويين والعباسيين ردحاً طويلاً من الزمن.

أليست نزعة الديمقراطية والمساواة هي التي جعلت الخليفة عمر بن عبد العزيز يثور على نظم بني أمية التي بعدت عن المساولة الحقة؟

ونحن لا ننكر أن تلك النزعة الديمقراطية قد أفسحت المجال أحياناً في الماضي والحاضر لدخول المشكوك فيهم في عداد مواطني الأمة العربية وجعلتهم يخربون ويدسون القيم المشبوهة في الحضارة ولكن ما العمل إذا كانت المساواة والديمقراطية قدر الأمة العربية.

وإن تلك النزعة بالذات هي التي أفسحت لكل ذي نفس طيبة من العرب أو غير العرب من المسلمين ليتسلم أحياناً الدفاع عن راية الحق في الحروب الصليبية على يدي عماد الدين الزنكي وابنه نور الدين وصلاح الدين الأيوبي وغيرهم ممن انضووا في خضم رايات الحضارة العربية الإسلامية وتمثلوا قيمها وأعرافها بشكل يكاد يكون تاماً.

ومن الشخصيات التاريخية التي تمثلت القيم والأعراف

بشكل جليل بعد الخلفاء الراشدين الخليفة عمر بن عبد العزيز والبطل صلاح الدين الأيوبي وغيرهم كثير.

عمر بن عبد العزيز ٩٩-١٠١هـ=٧١٧-٧٢٠م

هو الخليفة الأموي الذي قام بثورة أخلاقية أزال الجهاز الظالم ومنه الوالي يزيد بن المهلب عن خرسان، أقام جهازاً نظيفاً واتبع رأياً سديداً إذ اعتمد على الحسن البصري، وقام بثورة إجتماعية عندما رد المظالم لأصحابها (إذ أن انتقال أجزاء من ثروة الأمة العربية إلى حيازة الأفراد سماها مظالم)[١٢١] وهو أعلن السلام العام بإلغاء مبدأ التجريم بسبب الخلاف في الرأي والأهداف فلم تعد الدولة تعاقب على الرأي، أزال الجور ورد المظالم وثبت العدل في اقتسام الثروة[١٢٢].

بدأ عمر بنفسه وبزوجه وبأولاده، ثم الأمراء والأميرات من بني أمية وكانت هي المعركة الشاقة والصعبة والشرسة، ثم بدأ بانتزاع المظالم في الأقاليم، رد المظالم وأعاد اقتسام ثروة الأمة بالعدل والمساواة بصرف النظر عن الأصول العرقية.

وأراد أن يقضي على الإسراف والمسرفين، وأن يرد الحق لكل مسلم أو معاهد (استبرى الدواوين فانظر إلى كل جور جاره من قبلي من حق مسلم أو معاهد فرده عليه فإن كان أهل هذه المظلمة قد ماتوا فادفعه إلى ورثتهم)[١٢٣].

وحاول عمر إصلاح حالة البلد المالية بأن أمر عماله بأن يرفعوا الجزية عن كل من أسلم ولما شكى إليه الولاة كثرة دخول الناس في الإسلام ونقص إيرادات بيت المال نقصاً محسوساً تبعاً لذلك واستأذنوه في فرض الجزية على من يعتنق الإسلام، قبح رأيهم، ورد على أيوب بن شرحبيل والي مصر بكلمته الخالدة: ضع الجزية عمن أسلم.... فإن الله بعث محمداً ﷺ هادياً، ولم يبعثه جابياً[١٢٤].

وإذا كانت الشورى ليست بقانون وضعي بل تربية وخلق تمثلت في عمر بن عبد العزيز إذ أنه لما كان والياً على المدينة كون مجلس الشورى وحدد مهامه:

آ- معاونة الوالي على الحق.

ب- التنبيه على المظالم والتعديلات والحيلولة دون الوالي والإنفراد بالقرار (ما أريد أن أقطع أمراً إلا بأمركم)[١٢٥].

ولقد تعدت رحمته ورأفته نطاق الإنسان فشملت الحيوان حتى لقد نهى عمال البريد عن أن يضعوا في طرف السوط الذي ينخسون به الدابة حديداً، ومنع أصحاب الدواب إلجامها باللجم الثقيل[١٢٦].

وقد كان عمر رجل دولة عظيماً: فرغم أنه خليفة أموي فقد أحبه الهاشميون وتعلق به آل البيت ومدحه شعراء الشيعة وأنشا,ا فيه المراثي عندما مات.... اقترب

منه ثوار الخوارج، ووثقوا به وهادنوه هو خليفة أموي تولى الخلافة بالعهد إليه من الخليفة السابق سليمان أي بالميراث وليس بالشورى والإختيار العام... ومع ذلك اعترف المعتزلة وهم من تيارات المعارضة الثورية للدولة الأموية- به إماماً وأثنوا عليه ثناءً مستطابا؟ وعاونوه، وانخرطوا في جهاز دولته بل عدوه واحداً من رجالات فرقتهم.... والفقهاء من أهل السنة يتخذونه واحداً من أئمتهمومع ذلك نرى المتصوفة يحلونه مكان علياً بين أسلافه الذين سبقوا إلى الطريق(١٢٧).

الحالة زمن الحروب الصليبية

ولما لم تكن القيادة والزعامة وقفاً على أحد فلننتقل إلى ما حدث زمن الحروب الصليبية:

لقد كان من المألوف أن يصل إلى أعلى الرتب رجال من عامة الناس، بل من الأرقاء ممن فهموا روح العصر الذين يعيشون فيه ومبادئه السائدة وأرادوا أن يفيدوا منها وما البيت الزنكي والأيوبي إلا دليل على صحة هذا الإفتراض(١٢٨).

ونجد أن الرأي العام يظهر تمسكه بقيمه، ففي أهمية القدس مثلاً ذكر الظاهري تفسيراً لبعض الآيات القرآنية التي أوضح فيها أهمية القدس فذكر أنها أرض الله، السورة/٢١/ الآية/١٠٥/(١٢٩).

ولما كانت القدس بيد الصليبيين فقد دققت الأحاديث كلها الكثير من الناس على تحريرها... ومن جهة ثانية أخذ الشعراء يفدون على الخلفاء والأمراء يحثونهم على العمل في سبيل تحرير القدس وكان الإنسان إذا أراد أن يخجل إنساناً آخر ذكره باستيلاء الصليبيين على القدس وعدم تمكن العرب من تحريرها(١٣٠).

ونتيجة لذلك تجمهر الناس في المحلات العامة في دمشق وحلب... وأخذوا يدعون للحرب ففي ٥٠٥هـ كثر الضجيج والبكاء وبطلت الجمعة وفي عام ٥٣٢هـ

خرج أهالي حلب وبزاعة من النساء والصبيان والرجال في مظاهرة كبيرة دخلوا المساجد ومنعوا المصلين من إقامة الصلاة ودفعوهم لقتال الأعداء[١٣١].

وفيما ساد من قيم وأعراف في زمن عماد الدين انتقلت هذه الأعراف حتى إلى الصليبيين فقد أخذوا بكثير من عادات المسلمين، وكتاب أسامة بن منقذ حافل بهذه الصور.

وكان القوم يهتمون بالغ الإهتمام بالمحافظة على الشرف وأن أقل طعنة يطعنها الفارس لتقرح لها عيناه إن لم يدفعها، فإن ذمها عاد قرير العين مثلوج الفؤاد[١٣٢].

وكان من الواضح أن يتشبه الصليبيون بالمسلمين في ملابسهم وعاداتهم وتسامحهم.

وقد اعتاد قوم من الصليبيين والمسلمين أن يعقدوا أسواقاً تجارية سنوية يفدوا إليها التجار دون النظر للفارق الجنسي أو الديني[١٣٣].

وقد صار الصليبيون بعد وفاة ملك القدس يستنجدون بعماد الدين الزنكي ضد بعضهم لعدالته، وقد وسعت رحمته الأرمن والسريان والروم. يؤيد ذلك ما كتبه ميخائيل الشامي والمؤرخ المجهول[١٣٤].

أما صلاح الدين فقد تمثل القيم الإسلامية العربية شجاعة وحكمة وعلماً وعدلاً ورحمةً وتنظيماً لم يعرف الحقد أبداً، فعندما حصر السلطان (صلاح الدين) عسقلان وتسلمها ثم فتح الرملة والداروم وغزة وبيت لحم وبيت جبربن وتبنين والنطرون ومشهد الخليل ولّد وغيرها ثم نازل القدس وبه من الفرنج عدد لايحصى وضايقه ... وطلب الفرنج الأمان .... بشرط أن يؤدي كل رجل عشرة دنانير .... وتسلم المدينة في رجب وكان فيها بالضبط ستون ألف رجل سوى مايتبعهم من النساء والولدان، ويقول ميشو ... لم يكن فيها عندما فتحها سوى ربان واحد من اليهود ، وكان يدفع أتاواه كبيرة للملك حتى يبقى فيها[١٣٥].

لقد وصف العاضد الفاطمي صلاح الدين بأنه كـامل قضـاة المسـلمين وهـادي دعاة المؤمنين كما ذكر منشور العاضد صلاح الدين: ورمى بك فأصاب وسقى بك فأصـاب ، وسـدد سـهماً وجـردك شـهما ... وآثـرك علـى آثـر ولــده أمامـة في التدبير(١٣٦).

وكان صلاح الدين عفيفاً فلم يستلم شيئاً مـن أمـوال مصـر بـل وزعهـا جميعـاً على العساكر بعد أن أرسل الثمين منهـا إلى نـور الديـن، وأعطـى القصـور لضبـاط الجيش(١٣٧). يقول هارولد لامب: إن صلاح الدين لم يمتط صهوة جـواده ليحـارب المسلمين إلا إذا خابت الوسائل السلمية لأن سفك الدماء لايولد إلا الحرب(١٣٨).

أما الصليبيون فقد أدركوا قوة صلاح الدين المتصاعدة فقدموا معونتهم لخصمه الملك الصالح بن نور الدين معترفين بالوقت نفسه بأهمية صلاح الديـن علـى لسـان المؤرخ الصليبي وليم الصـوري سـنة ٥٧١ هـ -١١٧٤م: (إن كـل ازديـاد في قـوة صلاح الدين كان سبباً يثير الريبة في أنظارنا .... لأنه رجل حكيم المشـورة، باسـل في الحرب وشهم إلى ابعد حدود الشهامة وبدا لنـا أكـثر حكمـة أن نمـد يـد العـون للملـك الصبي (الصـالح) ليـس مـن أجـل ذاتـه بـل لتشـجيعه كخصـم لصـلاح الدين)(١٣٩).

وعندما خسر النوريون أمام صلاح الدين في معركة (أبو قبيس) قرب حماه بعد نقضهم العهد معه وتعاونهم مع الصليبيين منّ عليهم وأطلقهم بعد أسرهم في شـوال ٥٧١هـ ثم فرق كل ما غنمه على جنده دون الاحتفاظ بشيء منها(١٤٠).

أما احترامه للقيم الإسلامية فيبلغ الأوج فهو قد انسـحب مـن حصـار الموصـل لأنه لم يحب إراقة الدماء بين المسلمين وخاصة في شـهر رجـب وهـو أحـد الأشـهر الحرم في الإسلام. وقـد تبـين مـن قبـل كيـف أن صـلاح الديـن أوقـف القتـال مـع

النوريين سنة ٥٧٠هـ/١١٧٤م عند قرون حماة في شهر رمضان. وكذلك عند محاصرته لمدينة سنجار ٥٧٨هـ[١٤١]. ولم يكن صلاح الدين يقصد بانضمام الموصل إليه لإشباع رغباته الشخصية وتوسيع سلطانه. إنما ليتخذ من الموصل عوناً له بما تملك من قدرات طبيعية وبشرية لتحرير القدس بعد أن يكون أمن خطوطه الخلفية من هجوم معاكس[١٤٢].

ولم يكن ثمة نصر كامل لصلاح الدين أو نتائج مثمرة كما حدث في معركة حطين ٥٨٣هـ.ولم يكن ذلك النصر الكامل إلا نتيجة الخطة الجيدة والقيادة القوية. /١٤٣/.

لم يكن صلاح الدين شهماً فحسب بل معلماً لشعبه في الشهامة، فبعد حصار الصليبيين لمدينة عكار ٥٨٦ هـ حيث وجد الصليبيون لهم طريقاً إلى المعسكر الأيوبي، بعد أو وجدوا فيه المأوى طمعاً في المعاملة الإنسانية وخوفاً من الموت جوعاً ... ويعلق السير توماس أرنولد على أولئك المسلمين الذين اهتموا بكسب النصارى: وقد يكون من الممتع أن نعرف من هم هؤلاء ..... على أننا نعلم أن صلاح الدين العظيم نفسه كان رأسهم[١٤٥] ونتيجة لعدل صلاح فقد أمن الناس الشعور، وأخذوا يعملون إلى ساعات متأخرة من الليل دون خوف على حياتهم أو ممتلكاتهم، وقد شاهد الرحالة ابن جبير ذلك عياناً ... ومن ذلك قوله في مدينة الاسكندرية عام ٥٧٨هـ:

ومن الغريب أيضاً في أحوال هذا البلد تصرف الناس فيه بالليل كتصرفهم فيه بالنهار في جميع أحوالهم /١٤٦/.

بسيادة القيم والأعراف العالية

تسمو الأخلاق ويرتفع شأن المجتمع وينتفي الضعف. وتتراص الصفوف ويسود العدل وتقوى الأمة ويشتد عودها، وتحنو على الكل، ويسعد الجميع في أفيائها، فتظهر الحضارة في أسمى معانيها، ويخشى بأس الأمة الصديق والعدو على السواء.

يتضح هذا زمن الخلفاء الراشدين، وزمن عمر بن عبد العزيز، ونور الدين وصلاح الدين وغيرهم وعلى العكس من هذا عندما تنهار القيم وتضمحل الأخلاق وتفسد الأعراف. يسود الذعر في كل مكان، تستحوذ الأنانية على الجميع، تسود الفوضى، ويعم الأسى، وتكتوي الأمة بالنزاعات ومن ثم تضعف وتتدثر مقومات الحضارة، فيطمع الأعداء في خيرات البلد وأهل البلد، ولانزال نذكر تلك القصة الرمزية عن هولاكو وعندما أراد احتلال بغداد، فقد أرسل جواسيسه ليفحص حالة البلد، وجاء أحد هؤلاء إلى بائع يريد شراء بعض الطعام فأشار إليه البائع أن يبتاع من جاره لأنه لم يستفتح ببيع شيء فاشترى بعض حاجته من البائع الثاني، وعندما أراد شراء المزيد قال الثاني أن يشتري ما يريد من جاره الثالث، وعندما عاد هذا الجاسوس أخبر سيده بأنباء بغداد وقص عليه ما جرى مع الباعة الثلاثة فقال هولاكو: بغداد لاتفتح الآن .....

وبعد فترة عاد رجل هولاكو إلى بغداد ثانية فاشترى من البائع شيئاً فلم ينبس ببنت شفة ثم اشترى من البائع الثاني والثالث فاكتفيا بإعطائه ما يريد دون تعليق فأنبأ هذا هولاكو بالخير فقال: إن بغداد لم تنضج للغزو بعد:

وفي المرة الثالثة أقبل التترى إلى بغداد وجاء البائع الأول مشترياً وقال له هذا اشترى كل شيء من عندي فبضاعتي أفضل وأسعاري أعدل وقبح جاره البائع الثاني، وعندما جاء المغولي البائع الثاني فعل فعلة الأول....

وعندما علم هوكولا قال: الآن آن أوان الغزو. فقد انتشرت الأثرة والبغضاء والحسد في بغداد.

شخصية الذي يتحلى بالقيم والأعراف الخيرة

لا عجب إذا جعلت هذه القيم الإنسان العربي مجموعة تشريعية قائمة بذاتها. فهو متكامل أخلاقياً، رقيب نفسه يعامل كما يعامل غيره، يشاور غيره (إنما أمركم شورى بينكم).

وهو يحفظ سمعة أخية (أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً فكرهمتوه)[١٤٧]وهو يعطف على الصغير ويحترم الكبير، يعمل الخير، مناع للشر، من شاهد منكم فليغير بيده فإن لم يستطيع فبلسانه وأن لم يستطع فبقلبه وهذا أضعف الإيمان). لا يميز نفسه عن غيره (إن ا لله يكره المتميز من خلقه)، يعامل الناس بكل لباقة وطيبة (ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك) يكره الغش بإطلاق (من غش ليس منا) .... وهذا قليل من كثير يتصف به المواطن العربي الحق.

إنه المواطن المثالي لكل زمان ومكان، يقوم أعماله إن أخطأ أو انحرف، إنه شرطي أخلاقي لنفسه، أنه يقرى الضيف، يحافظ على العهد، رحيم على الفقراء، وهو ضد الظلم، ضد القسوة، عالم، مفكر، ذكي، يهجم في الحروب كالأسود ويعف كالحمل الوديع عند المغانم .... فهل استمر هذا؟

واقع الكون الآن

إنه واقع مليء بالمتناقضات والحيد عن القيم والأعراق من أصغر خلايا المجموعات الأسرية إلى أكبر المؤسسات مراً بالمعمل والمكتب، والمدرسة، والنادي،

والجمعية، بسبب هذا الهول المريع من التقدم التقني المتسارع المخيف، ولهذه المكتشفات العلمية المجنونة، ومظاهرها الحياتية البراقة مما أربك العقول والأفئدة، حتى امتد أثر ذلك إلى عالمنا العربي -رغم قيمه وأعرافه - فكاد يزحزحها من النفوس بالإضافة إلى ما خلفه لنا الجهل وحملته لنا الأيام وما زرعه الاستعمار من انقسامات، وما دقته الإمبريالية من مطامع، وما حصدت واختلست من خيرات أرض العرب.

فلا الأبوان يقومان بواجباتهما على الشكل الأمثل، فالأب والأم يريد أن أبناءهما على شاكلتهما بدون تطور رغم تبدل الزمن وأسلوب الحياة، والأبناء يريدون أن يكونوا هم الأباء ليفعلوا كل مايريدون بدون رقيب: فلا عطف ولامحبة ولااحترام والكثيرون من هؤلاء وأولئك يركضون نحو الأسوأ فلايستفاد من حكمة الكبار ولاتستغل حيوية الشباب واندفاعهم بما يفيد.

الكل يريدون أن يكونوا متنفذين، مستهلِكين، مستهلَكين، يأتيهم الرزق باسهل الأسباب وأسرع السبل، ترى البعض يتقاعسون في المعمل أو المتجر أو الحقل، الموظف لايقنع براتبه ويطالب دولته بالأعاجيب دون أن يلقي نظرة إلى مسؤولية حكومته تجاه أمور الصحة والدفاع والتعليم والبناء. والشاب يريد أن يمتلك القمر قبل أن تنتهي مراهقته له كل الحقوق وليس عليه شيء من واجبات. هكذا يريد.

ولذا لاعجب أن سادت الفوضى في عدد كبير من أقطار العالم، وفي عالمنا العربي، فظهرت مشاكل الطلبة في كل أنحاء العالم، كما اختلفت مصالح فئات الناس وتضاربت أراؤهم وأفكارهم وازداد القلق واليأس، وتصادمت المصالح وهذا

ما نلاحظه في مختلف بلاد العالم بغض النظر عن نظمها الاقتصادية والاجتماعية والسياسية.

يخلصنا من هذه المآزق السير وفق القيم العالية للأسلاف والأجداد الذين سادوا العالم القديم وحرروه من ظالميه وهذا هو بناء وتحرر، أما التغني لوحده بقيم الأجداد والوقوف على الأطلال فضعف وخسران في هذا العالم المتجدد.

إن الأغنية لوحدها غير مسموعة وليس فيها حياة بغير المغني الناجح واللحن المناسب والأسلوب الملائم.

نحن لاننكر إن الحالة ليست بالغة السوء في عالمنا فهناك مفكرون ومصلحون وناقدون وهناك قيم هادفة إلى خير المجموعات الإنسانية، ولكننا نبغي المزيد.

إذا صادفت الإنسان ظروف سيئة تعرض لدياجيز القلق، والغلبة والقهر والياس وقطع الرجاء فإن امتدت إليه يد الخير والرجاء فسيكون، هذا نورا بعد حلكة ظلام وأملا بعد يأس، وكأنك انتشلته من بؤسه واسديت إليه يداً بيضاء.

ولنأت بمثال وقع أسير بيد آسريه، إنه طوع بنانهم، وطنَّ نفسه على تحمّل الأذى وعرف أنه سيلقى الأمرين وهذا شيء عادي في ظروف الحرب وعادة المتحاربين وسطوة الغالب،لكنه إن تلقى معاملة حسنة ورفع عنه أسره وعومل باللين فهذا أقصى مايحلم به، ولكن هذا ليس بغريب بين أصحاب القيم والأعراف الأخلاقية في الحضارة العربية الإسلامية، ولذلك لاعجب إذا علت منزلتها لدى العدو والصديق. وصدق نفعها لبساطة إجراءتها وواقعيتها وسحر سريانها باعتراف مفكري العالم الصادقين. ولذا أظن أنه من واجب الأمة العربية والشعوب الإسلامية إن تثبت تلك القيم والأعراف التي وصلت بالأمة إلى درجة رائعة من التقدم جعلتها رائدة في الفكر الإنساني، بل أجعلها دعوة عامة إلى كل دول العالم المتمدن مهما

اختلفت نظمها أن تتبنى برامج شبيهة بذلك مما يؤدي إلى التفاهم الدولي العام الذي تسعى إليه المنظمات الدولية مما يساهم في السلام العام العالمي. وحبذا أن تثبت هذه القيم في المجالات التربوية والثقافية وفي الحياة العامة وفي وسائل الإعلام.

أولاً – في المجالات التربوية والتعليمية:

الاهتمام بالتربية البناءة المعتمدة على القيم والأعراف العربية الإسلامية ونبذ بعض القيم التي جاءت مع الاستعمار الغربي، كالفردية المتناهية والميل إلى اللهو والأنانية: تلك الحضارة الغربية التي وصفها الفيلسوف روجيه جارودي بأنها لعنة الحضارة /١٤٨/ ومن ثم تأكيد الاعتزاز بقيمنا والفخر بها، ففي مؤتمر مناقشة حقوق الإنسان التي أقامتها الأمم المتحدة في طوكيو في تشرين الثاني عام ١٩٧٨ وكانون الأول من نفس العام كان في محور الحديث ظاهرتان الأولى: **ظاهرة الرجوع إلى الأصول الحضارية الذاتية للشعوب،** الثانية: **ظاهرة زيادة الوعي بالآفاق الجديدة** التي تعرض بها مشاكل الإنسان في عصر الثورة العلمية والتقنية المستمرة /١٤٩/. ونحن نستطيع أن نواكب حركة التقدم المادي العالمي دون أن نتخلى بالضرورة عن القيم الحافظة للتماسك الاجتماعي والترابط الأسرى والأخوة المثالية وهي التي تهاوت في الغرب تحت مطارق حضارة المنافسة وعبادة المال /١٥٠/.

ففي اليابان على الرغم من تأثر ظاهر .... بالحياة الغربية في مظهرها وأساليبها فما تزال الروح اليابانية الأصيلة تطل من وراء الأزياء الغربية الانيقة... وعلى الرغم من الإزدحام ومشاكل الإسكان، لا يزال الزائر قادرا على رؤية (الإنسان) وسط ذلك.. إنساناً هادئاً رقيقاً.. وبأدب مفرط وبإحساس في الواجب والإلتزام نحو الآخرين بسبق الإحساس بالحق... ظاهرة النجاح في التوفيق بين ممارسة الثورة

الصناعية وإحراز ثمرتها وبين ممارسة القيم (الحافظة) للعلاقات الإنسانية الحميمة/١٥١/... إن المدن اليابانية، على ازدحامها الهائل وطرقها الضيقة المظلمة بعد غروب الشمس، مدن آمنة تكاد تخلو من العنف والجريمة، وإن الولاء للأسرة، والوفاء الزوجي، لايزالان قيمة كبرى في مجتمع اليابان... وإن ولاء الياباني لعمله ومصنعه أو الشركة التي يعمل فيها لايقل عن ولائه لأسرته، وهو لذلك لايكاد يغيره إلا مضطراً... وإن تغيير العمل لغير الضرورة يعتبر في نظر اليابانيين نوعاً من (الخيانة) تنتقص من نظرة الناس إليه/١٥٢/.

ولذلك علينا التأكيد على التعاون المثمر في حقل التربية فنؤكد أهمية (نحن) أكثر من (الأنا) كما نركز على حسن المعاملة بين الأفراد والتحلي بالقيم الأصيلة في المدرسة والعمل والأسرة وحتى في الشارع وأماكن البيع والشراء.

ومن الضروري إبراز نواحي القيم والأعراف تاريخياً ليس من الحكام فحسب ولكن من بين الأفراد المجهولين.

وبالمقابل علينا التذكير بأن الخلافات والصراعات بين الناس ملوكاً كانوا أو أفراداً أو جماعات غالبين أو مغلوبين هم خاسرون على المدى البعيد، فبعد بني أمية عن القيم في العدالة الإجتماعية والمساواة، وأثرة بني العباس في الحكم أدى إلى صراعات وخلافات ومن ثم ضعف وتجزؤ لكل الفرقاء أديا إلى تسرب الغزاة من الطامعين في خيرات بلادنا من مغول وإفرنجة/١٥٣/.

كما أن ظلم بني العمومة لبعضهم والتعسف في ذلك يؤدي ببعضهم إلى الأستعانة بالأجنبي كما حدث في الأندلس وكما حدث لخلفاء الزنكيين والأيوبيين عندما استعانوا بأعدائهم على بعضهم فكانت النتيجة القضاء عليهم جميعاً.

التأكيد على ذكر أن التمسك بالقيم والأعراف الأخلاقية هي التي حفظت الأمة العربية رغم تعرضها لأشرس هجمات المستعمرين.

إن اتباع أسلوب عصري حديث وبسيط في التعليم يؤدي إلى رسوخ احترام القيم من أصغر العادات اليومية إلى أكبرها: كم هو جميل أن تؤلف أناشيد بسيطة للأطفال لترسيخ عادة الصدق ونبذ استعمال أدوات الغير أو نظافة الشارع. كم هو جميل أن تنعقد ندوات صغيرة للأطفال في كيفية احترام الكبار ليس بالموعظة ولكن بذكر المثل الذي يقتدى وترك الأطفال ليقولوا ما يشاؤون في حبهم لهذه القيم ويكون عمل المدرس التوجيه والإصغاء.

وفي قمة حديثنا عن ربط القيم بالتربية أقترح:

إضافة مادة القيم والأعراف في الحلقات الدراسية المختلفة والمعاهد والجامعات وأن يخصص لكل حلقة مفاهيم وقيم متناسبة مع سن ومواهب كل حلقة، فإذا خصصنا للصف الأول الإبتدائي قيم الصدق والنظافة... نخصص لصف الثاني التعاون واحترام ما يملكه الغير (الأمانة)... وهكذا، وأن نذكر بعض الآيات الكريمة والأحاديث والنصائح في الصفوف الأعلى المؤكدة لتلك القيم، ويكون لهذه المادة كتب قائمة بذاتها ويدرسها مدرسون مختصون. واستكمالاً لهذا الإقتراح تكون لجان لتحقيقه ضمن ما يلي:

١) تضع اللجنة بين يديها كل ما يستمد منه أو يذكر فيه أنماط القيم والأعراف من القرآن الكريم ومن السنة، من الأعراف السابقة للإسلام، من الحكم ومن القصص الشعبي... الخ....

ثم تنسق وترتب ماهو فردي كالتحلي بالصدق لوحده وما هو أسري واجتماعي كالتعاون لما فيه خير الوطن وما هو متعلق بالعلاقات بين الأفراد والجماعات كالعهود والمواثيق وإطاعة الدولة والعمل على بقائها...

٢) تقوم اللجنة بعدئذٍ بتقسيم تلك الأعراف أفقياً: فبعضها تخصص للتدريس في المرحلة الإبتدائية بما يوافق أعمار الطلاب تربوياً وبيئةً وعمراً، وأخرى في المراحل الأعلى...

٣) يستعان بالقصص في المرحلة الدنيا من الصفوف الأولى أو تكون بشكل حادثة تاريخية للمراحل الأعلى، ونذكر الحكمة أو القيمة بعد القصة، أما في المرحلة الإعدادية فيكون بالطريقة المناسبة بسرد قصة تاريخية أو أدبية ثم يعقب ذلك ذكر الآية القرآنية أو الحديث أو المصدر الذي يدل عليها، وبنفس الأسلوب مع التكثيف يتبع ذلك في المرحلة الثانوية، أما في المعاهد والجامعات فيبحث في البرامج المخصصة لها ربط القيم والأعراف بالفلسفة والمنطق والعلوم المساعدة ونشوء القيم وتنوع القيم بين الشعوب وتطورها، ونماذج من القيم أثناء الأزمات والحروب، وأهمية القيم التي وقفت حائلاً وجيشاً احتياطياً بعدما ألم بالأمة العربية من محن وانقسامات.

٤) وكل هذا يجب أن يكون بأسلوب عصري حديث موافق للتطور العلمي والتربوي مع ذكر أقوال المنصفين من المستشرقين الأجانب.

٥) وبعد هذا تدعو اللجنة المؤلفين في البلاد العربية والإسلامية للإشتراك في إعداد كتب تتوافق مع كل مرحلة، وتخصص الجوائز المجزية لهذا الغرض على أن تكون تلك الكتب متحققة بشروط نجاحها:

آ- الأسلوب الموافق لكل مرحلة مع الخط الواضح والكلمات الموجزة في الحلقة الإبتدائية وأن تزين بالوسائل المعينة من صور ورسوم وخرائط وخطوط بيانية.

ب- أن تكون عاملة على وحدة الأهداف وإبعاد كل ما يشين العلاقات بين المواطنين من تمييز أو تفريق.

جـ العناية بتلك الكتب وتجليدها بحيث يمكن الإحتفاظ بها كمجموعة قيمة في علم الأخلاق.

د- استعمال الأناشيد والأغاني البسيطة للصفوف الإبتدائية.

واتماما إلى التأكيد على التمسك بالقيم يمكن الإستفادة من العلوم الأخرى كالتاريخ والتربية الدينية والأدب، كما نبرز أهمية هذه القيم بأن التمسك بها أدى إلى رفعة الأمة وامتدادها العظيم.

ثانياً- في مجال الثقافة العامة:

في المطبوعات من كتب ونشرات ومجلات تابعة للدولة أو للأفراد والجماعات وهذه نؤكد فيها القيم بأساليب وطرق مختلفة:

١) تمجيد قيمنا والإعتزاز بها دون أن نثير الضغينة على أحد، ويكون هذا بشكل قصص أو وقائع ثابتة.

٢) الابتعاد ما أمكن عن ذكر الحوادث الشاذة المؤلمة التي تقع بين الأفراد وإذا ذكرت فبين أنها وقعت عرضاً وبظروف صعبة وأن النفس البشرية تأباها.

٣) نشر القيم العالية ضمن قصص طويلة أو قصيرة بشكل عفوي أو هادف وتخصيص الجوائز للقصص المفيدة وترجمتها.

٤) تمجيد الأشخاص الذين يقومون بواجباتهم على الشكل الأمثل.

٥) الرد على مروجي الأباطيل عن القيم في الحضارة العربية الإسلامية بطبع الكتب والنشرات مترجمة إلى اللغة الأجنبية وإظهار مدى التسامح الموجود في ضمير هذه الأمة في ماضيها وحاضرها.

ثالثاً- في الحياة العامة:

لابد لنا من الإعتراف أنه يسود الأمور العامة نوع من التسيب والإهمال وعدم الشعور بالمسؤولية بين الأفراد في الدوائر الرسمية التابعة للدولة أو للمؤسسات. لذلك يجب التأكيد على حسن المعاملة بين المأمورين بالعمل في تلك الدوائر وبقية المواطنين وأن تكون للمأمور رقابة ذاتية من نفسه وبعدم تسليم العمل لأي من هؤلاء قبل حضوره دراسات في حسن العمل ومعاملة الآخرين بالحسنى، وإيجاد رقابة شعبية مجدية، وإعطاء الموظف الكفء جوائز مناسبة ليكون قدوة لغيره.

- الإهتمام بحسن المعاشرة بين أفراد المجتمع: في المدرسة بين الطلاب، في الدائرة بين الموظفين، في المعمل بين العمال، في السوق بين الباعة، في كل مكان وبأية وسيلة مجدية من نصائح ودراسات ودورات.

- بيان أن نجاح كل عمل يكون بأخلاقية من يشرف عليه: أي وضع الإنسان الأخلاقي المناسب في المكان المناسب بغض النظر عن السن والجنس واعتبارات أخرى.

- الربط بين المقومات الأخلاقية وبقائنا، فطالما نحن تمسكنا بقيمنا وتعاوننا أدى ذلك لاستمرار وجودنا وخاصة أن الإمبريالية المبرقعة بشتى الوجوه تتربص بنا الدوائر.

- وتنمية الضمير الذاتي لدى الأفراد الذي يجعل المواطن العربي ثابتاً في الخندق الأساسي ضد الإستعمار والجهل والتخلف.

- التأكيد على القيم الأخلاقية في إعداد الإنسان العربي لمعركة التحرير والبناء متسلحاً بالقيم الخلقية كالشجاعة، والتسامح، والعدالةن يحوطه الوعي ونكران الذات.

- ضرب الأمثلة أن الإنسان الأخلاقي يفيد في وطن أو نظام سياسي أو اقتصادي أو اجتماعي سواء أكان موظفاً صغيراً أو عاملاً أو حاكماً والأمثلة على ذلك لثيرة: وهل ننسى كيف أخلص الإدريسي لحاكم صقلية النورمندي رغم اختلافه دينا وقومية (من غش ليس منا).

- التحبيب بالعمل وانه دعامة بقاء كل أمة ومن ثم بيان أهمية العمل الفكري في المخترعات التي تفيد الأمة كمجموع.

رابعاً- في مجال وسائل الإعلام والتسلية:

وهذه تكون تابعة للدول أو لإشرافها على الأقل مثل الإذاعة والإذاعة المرئية (التلفزيون) والمسارح والمطبوعات والنشرات وكلها عريضة التأثير في جماهير الأمة ووثيقة الصلة بها، وفيها:

١) يجب أن نؤكد على المحافظة على قيمنا واعرافنا الأخلاقية بالقصص والتمثيليات والأحاديث لأن تلك القيم من أسباب استمرار وجودنا.

٢) إظهار ما في حضارتنا من الأعراف والقيم العالية التي يحق لنا أم نفخر بها وترداد ذلك باستمرار لترسيخه في أفئدة الجماهير.

٣) ترجمة ماهية قيمنا وأعرافنا إلى اللغات الأجنبية وطبعها في كتب ونشرات أو إذاعتها ضمن الإذاعات الموجهة إلى العالم المجاور، مباشرة أو نشرها في جرائد وإذاعات الدول الأخرى ولو بشكل مأجور، ونفي كل ماذكر من سوء عن حضارتنا بالأمثلة والوقائع التاريخية الصحيحة.

٤) العمل على ذكر ما في حضارتنا وحضارات الأمم الأخرى من قيم متماثلة ومتناسقة وإيصال ذلك إلى الجمهور بشكل محاورات يعتمد عليها العالم المتمدن كثيراً ومن ثم الوصول إلى التفاهم بين دول العالم وشعوبه والشعب العربي.

٥) الإستغناء عن بعض الأفلام القديمة أو الحديثة في التلفزيون أو السينما والتي تظهر الإنفعال الشديد بين أفراد الأسرة الواحدة، وكأنهم أعداء، مما لانشاهد مثله إلا في الكوابيس ويؤدي إلى تفكك المجتمع من أول مستوياته (الأسرة) لذلك يجب:

آ- التأكيد على انتصار الفكرة والقيمة الأفضل باقتناع الطرفين المختلفين في الأسرة.

ب- إظهار حسن المحبة والتفاهم بين الزوجين لإظهر الوجه البشع لبعض أفراد الأسرة الشاذين واعتبارهم كقدوة بغرض الكسب المادي لمنتجي المسرحية أو الفيلم السينمائي.

جـ- العمل على إظهار حسن الخلق والإتصاف بالهدوء في القصص الإذاعية أو المرئية والبعد عن الشجار والصراخ والتهويل.

د- إظهار أن الإنسان لاينال ما يصبو إليه إلا بالعمل والصبر وحسن المعاملة.

٦) البعد ما أمكن عن السلبية والأنين والخصام وكل ما يؤذي الحس الإنساني في أي عمل من أعمال وسائل الإعلام فيه خطر على السلام العام.

وهذا غيض من فيض أردنا ذكره لبيان ما في الحضارة العربية الإسلامية من قيم وأعراف تسر كل من يعايشها أو يطلع عليها وما يؤدي التمسك بها من استمرار الوجود بشكل لائق وفخور. من مقال ورد في جريدة الثورة عام ١٩٦٩.

المؤرخ الفرنسي بيرجون يعلن أن الإستعمار والصهيونية يشوهان التاريخ العربي

التاريخ العربي سلاحي في الرد على الدعايات المعادية

حافظ الأسد رئيس الدولة قد قلد الأستاذ الفرنسي "رينيه برجرون" وسام الإستحقاق السوري من الدرجة الأولى تقديراً لجهودهاالتاريخية في مجال البحث التاريخي، وكشف المغالطات التي ألحقها المغرضون بتاريخنا وحضارتنا.

والأستاذ رينيه برجرون الذي يزور القطر السوري الآن هو محاضر، ومؤرخ، وعالم آثار استطاع أن يصل من خلال بحثه المستمر عن الحقيقة، إلى فهم علمي صحيح للحضارة العربية، وللتاريخ العربي، فهو يقول: إذا كان موضوع الفن والحضارة عبارة عن قسم من دراساتي إلا أن قسم التاريخ العربي والإسلامي هو سلاحي في المعركة. ذلك لأن كتب التاريخ التي تدرس اليوم، والتي هي بين أيدينا، لم تحمل فقط بعض المنسيات والأخطاء العريضة وإنما حملت أكاذيب مقصودة لتشويه التاريخ العربي.

وبما أن هناك إدعاء قومياً أوربياً في جعل الصليبيين فرساناً يتحلون بصفات الفارس الأصيل وقديسين، وبما أن كتب التاريخ كتبت إما من يهود أو من مأجورين، فكانت هناك غايات أكيدة لتدمير التاريخ العربي والإسلامي، وبالتالي لرفع قيمة الذين قاموا بالحروب الصليبية. وبما أن ذلك كله يهدف تشويه حقيقة التاريخ العربي، والإساءة إليه فإن دراسة هذا التاريخ على ضوء جديد، وكشف حقائقه هو الشيء الذي يأخذ مجال الاهتمام في أبحاثي ودراساتي.

ويعطي الأستاذ برجرون، أمثلة عديدة على الأخلاقية الرائعة التي يحملها التاريخ العربي، والتي حاول المؤرخون الغربيون تجاهلها.

يقول: في زمن هارون الرشيد أعطي شارلمان امبراطور الغرب حق التمثيل في الأراضي المقدسة، أي بمعنى آخر كان للحجاج الغربيين أثناء الحكم العربي ملء

الحرية في ارتياد الأماكن المقدسة بكل أمان، وهذه من الحقائق التاريخية التي لم تقل..

والشيء الذي لم يقل أيضاً هو فتح القدس في المرات الثلاث.

أولاً: الفتح الإسلامي وكيف أن الخليفة عمر عندما دخل مدينة القدس وبينما هو في كنيسة القيامة، سأل الأسقف عن مكان يصلي فيه فقال له: هنا، فرفض عمر قائلاً: لو فعلت لطالب المسلمون بالقيامة، وخرج إلى الشارع فصلى...

ثانياً: دخول الصليبيين إلى القدسن وما رافقه من مجازرودماء...

ثالثاً: إعادة فتح القدس من قبل صلاح الدين، وكما تقول المخطوطات.. فإن هذا الفتح لم ترافقه إهانة، ولم يهدم فيه بيت.. كذلك فإن صلاح الدين لبى طلب أخيه الملك العادل بتحرير ألف صليبي..

من هذه الأحداث التاريخيةن يصل الأستاذ برجرون إلى تقرير حقيقة هامة تلك هي أن التاريخ العربي لم يكتب بعد، بصورة دقيقة، وأن إعادة كتابته بشكل صحيح، هي السبيل الوحيد لمواجهة الدعايات المعادية التي يقوم بها الإستعمار والصهيونية العالمية بهدف تشويه التاريخ العربي والحضارة العربية.

ومن هنا كان الإهتمام بهذا التاريخ ومحاولة إظهاره بشكله الصحيح، نقطة الإرتكاز التي يقوم عليها عمل الأستاذ (برجرون)، أو كما قال هو: سلاحه في المعركة..

ملحق "١"

فتح مصر والإسكندرية

وعن التعامل بين الشعوب، وعلى قدم المساواة بين الغالب والمغلوب -نجد التربية الإنسانية الحقة والديمقراطية الراسخة البنيان في الحدث التالي- الذي أتمنى أن ينشر في كل اللغات ليعلم كل من ينتهج الحرية مبدأ والمساواة منهجاً والعدل أساساً، إن أمتنا العربية الإسلامية في تحريرها شعوب المنطقة من عسف الروم والفرس، كان أقصى سلاح لديها هو الإيمان بالعدالة والديمقراطية الحقيقية ولذا فتحت القلوب أمام أجدادنا قبل أن تفتح الحدود وتهدم الحصون.

أما الحدث فقد تم حين فتح مصر ضمن مايلي:

أريد من هذا الحدث العظيم دراسة تربوية وأخلاقية متعددة الجوانب -وفيه شريعة العدل، وفيه المنطق وقبول الواقع وعدم عمل المستحيل.

ومثل هذه الأحداث يعج بها تاريخنا ويجب أن لانحرم من الإطلاع عليها ودراستها.

"فتح مصر والإسكندرية" كما ورد في الأمم والملوك (للطبري)

"حدثنا ابن حميد قال: حدثنا سلمة عن محمد ابن اسحاق قال: وحدثني القاسم بن قزمان رجل من أهل مصر عن زياد بن جزء الزبيدي أنه حدثه: كان في جند عمرو بن العاص حين افتتح مصر والإسكندرية قال: افتتحنا الإسكندرية في خلافة عمر بن الخطاب في سنة إحدى وعشرين أو سنة إثنين وعشرين قال: لما افتتحنا باب اليون تدنينا قرى الريف يقال لها قرية الريش وقد بلغت سبايانا المدينة ومكة واليمن قال: فلما انتهينا إلى بلهيب أرسل صاحب الإسكندرية إلى عمرو بن

العاص: أني قد كنت أخرج الجزية إلى من هو أبغض ***إلي منكم معشر العرب لفارس والروم***[١]، فإني أحببت أن أعطيك الجزية على أن ترد علي ما أصبتم من سبايا أرضي، فقلت، قال: فبعث عمرو أن ورائي أمير "ابن الخطاب" لا استطيع أن ***أفعل أمراً من دونه***[٢]، فإن شئت أن أمسك عنك وتمسك عني حتى أكتب إليه بالذي عرضت علي فإن هو قبل ذلك منك قبلت، ولإن أمرني بغير ذلك مضيت لأمره، قال فقال: نعم، قال: فكتب عمرو بن العاص إلى عمر بن الخطاب قال: وكانوا لا يخفون ***علينا كتاباً كتبوا به***[٣]، يذكر به الذي عرض عليه صاحب الإسكندرية قال وفي أيدينا بقايا من سبيهم ثم وقفنا ببلهيب وأقمنا ننتظر كتاب عمر جاءنا فقرأه علينا عمرو وفيه أما بعد: فإنه جاءني كتابك تذكر أن صاحب الإسكندرية عرض أن يعطيك الجزية على أن ترد عليه ما أصيب من سبايا أرضه، ولعمري لجزية قائمة تكون لنا ولمن بعدنا من المسلمين أحب إلي ***من فيء يقسم ثم كأنه لم يكن***[٤]، فاعرض على صاحب الإسكندرية أن يعطيك الجزية على أن تخيروا من في أيديكم ***من سبيهم بين الإسلام وبين دين قومه***[٥]، فمن اختار منهم الإسلام فهو من المسلمين له مالهم وعليه وما عليهم[٦]، ومن اختار دين قومه وضع عليه الجزية ما يوضع على أهل دينه، فأما من تفرق من سبيهم بأرض العرب فبلغ مكة والمدينة واليمن فإننا لانقدر على ردهم ولا يجب أن نصالحهم ***على أمر لانفي له به***[٧].

قال: فبعث عمرو إلى صاحب الإسكندرية يعلمه الذي كتب به امير المؤمنين قال: فقال: قد فعلمت: قال: فجمعنا ما في السبايا، واجتمعت النصارى، فجعلنا نأتي بالرجل ممن في أيدينا ***ثم نخيره بين الإسلام وبين النصرانية***[٨] فإذا اختار الإسلام كبرنا تكبيرة هي أشد ***من تكبيرنا حين نفتح قرية***[٩]، قال: ثم نحوزه علينا

وإذا اختار النصرانية نخرت النصارى ثم حازوه إليهم ووضعنا عليه الجزية، وجزعنا من ذلك جزعاً شديداً حتى كأنه رجل منا إليهم قال فكان ذلك الدأب حتى فرغنا منهم، وقد أتى فيمن أتينا به بأبي مريم عبد الرحمن بن عبد الرحمن، قال القاسم وقد أدركته وهو عريف بني زبيد قال: فوقفناه فعرضنا عليه الإسلام والنصرانية، وأبوه وأمه وأخوته يجاذبوه حتى شققوا عليه ثيابه، ثم هو اليوم عريفنا، وعلى لسان عمرو لوفود الأقباط: ومما عهد إلينا أميرنا: استوصوا بالقبطيين خيراً فإن رسول ا لله ﷺ أوصا بالقبطيين خيراً ***لأن لهم رحماً وذمة***(١٠).

ص: ٢٢٨ من الأمم والملوك للطبري.

وفي هذا النص الحدث بضعة أمور تربوية وحقائق تارخية وتشريعية جسام.

١- التأكيد على السمعة الحسنة للعرب المسلمين التي سبقتهم قبل قيامهم بالتحرير.

٢- الرجوع في الأمور العظيمة إلى القائد الأعلى للمسلمين فعمرو بن العاص رغم صلاحياته الكثيرة لم يبت في أمر الجزية والصلح والسبايا بل رجع إلى أمير المؤمنين وهنا فيه تأكيد على الإحترام للقيم وللنظم وللقادة وهذا ما يجب على التربية التأكيد عليه.

٣- الاهتمام بالشورى والوضوح والديمقراطية في أن القادة كانوا لايخفون على مواطنيهم وعسكرهم أي أمر.

٤- نظرية الخليفة عمر بن الخطاب هي التأكيد على أمرين قبول الفريق المغلوب وفي ذلك ميل للصلح الذي هو سيد الأحكام.

والأمر الثاني عدم تجمع الثروة بيد مجموعة قليلة ثم تزول. وهذه الحقيقة يؤكدها في كل مساجلاته مع بقية الصحابة، فهو يريد ضمان مستقبل الأجيال المقبلة دون أن يحيق الاذى بالذميين.

٥- ترك الخيار والشورى لسكان البلاد المحررة في انتهاج السبيل الذي يريدون بدون إجبار ولا قهر. اليس هذا مفخرة لنا!؟.

لذلك لن نعجب إذا وجدنا الكثيرين من مفكري الغرب يعجبون بعمر وتربية عمر وكثير منهم يسمون أبناءهم باسم هذه الشخصية العربية الإسلامية.

٦- التأكيد على عدم التمييز بين من يعتنق الإسلام مجدداً ومن له قدم في الإسلام إلا بالتقوى وحسن العمل.

٧- عدم إعطاء الوعود جزافاً والتأكيد على الوفاء بالوعود، وفي هذا المثال نوع من الواقعية المعتمدة على حقائق "وأوفوا بالعهد إذا عاهدتم".

٨- مقارنة فرحة التكبير عند إسلام فرد أكثر من فتح قرية يدل دلالة لا ليس فيها غموض على أن الإنسان أهم ما في الوجود. لإن العرب كانوا يهدفون إلى تحرير الإنسان أولا ثم تحرير الأرض.

٩- وصول الفرد الذي يعتنق الإسلام إلى الرتب التي يستحقها كوصول ابي مريم إلى مرتبة) العريف.

١٠- رعاية العهد وإطاعة القادة في أن قائد الجيش هو عمرو يتبع عهده لأمير المؤمنين عمر بن الخطاب تطبيقاً لوصية الرسول الكريم (ص).

ولهذه المضامين التربوية والأخلاقية البناءة التي وجدناها عند النص التاريخي أؤكد على ضرورة دراسة كل نص تاريخي أو أدبي لبيان ما فيه من أسس التربية

البناءة لنسير وفقها في أمور الحياة. لذلك أؤكد على دراسة النصوص التاريخية كما تدرس النصوص الأدبية والثقافية.

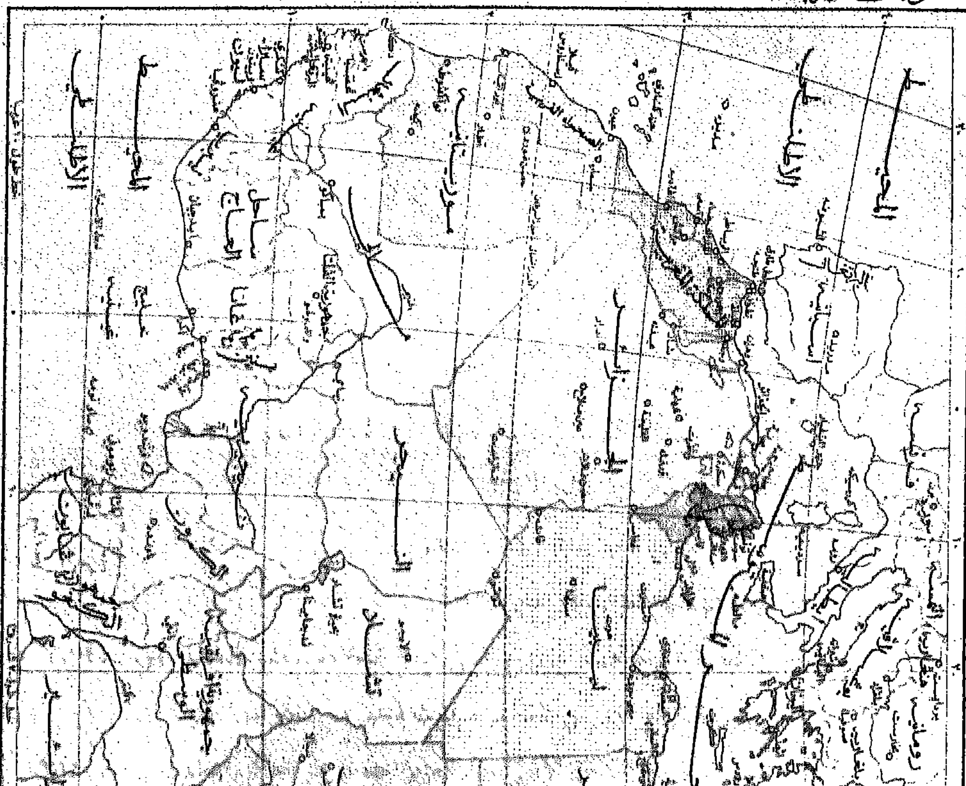
ولقد جربت المناقشة في تلك النصوص أثناء قيامي بالتدريس في المراحل ما قبل الشهادة الثانوية وما بعدها فوجدت أنها طريقة محببة لدى الدارسين وهي وسيلة تلقائية لاتباع النهج التربوي الخلاق للمواطن الصالح وغرس المبادئ الإنسانية السامية في نفوس النشىء.

اوجست بيبل ..

وكتابه "الحضارة فى العهد العربي الاسلامي"



الوطن العربي



المصادر والمراجع

١- القرآن الكريم.

٢- الأحاديث الشريفة. صحيح مسلم والبخاري...

٣- ألفاظ القرآن الكريم.

٤- الموسوعة العربية الميسرة.

٥- كتاب علم التاريخ ترجمة عبد الحميد العبادي مطبعة لجنة التأليف القاهرة ١٩٣٧.

٦- مجلة المعلم العربي بعدد ٩٧٨/٥ دمشق.

٧- مقدمة ابن خلدون طبعة عامة.

٨- منهج البحث التاريخي د. حسن عثمان دار المعارف بمصر ١٩٦٥

٩- مجلة العربي الكويتية العدد ٢٦٠

١٠- جريدة الثورة عدد خاص ٩٦٩ دمشق.

١١- المجلة الألمانية العدد (٨) عام ١٩٦٨.

١٢- خطط الشام لمحمد كرد علي جـ٢ طبعة دار العلم للملايين بيروت ١٣٨٩هـ ٩٦٩م.

١٣- أصول التاريخ الأوربي المعاصر لهربرت فيشر دار المعارف بمصر.

١٤- معالم تاريخ الشرق الأدبي عبد العزيز عثمان دار الفكر الحديث بلبنان ١٩٦٨.

١٥- (الرافدان) تأليف سيتون لويد وترجمة طه باقر بغداد.

١٦- قضية الحضارة جم لول بيورانت ترجمة د. بدران

١٧- الأخلاق الإسلامية لعبد الرحمن الميداني.

١٨- دستور الأخلاق د. محمد عبد الرحمن دراز مؤسسة شام ودار البحوث العلمية بالكويت ٩٧٣.

١٩- النظم في الجاهلية والإسلام د. نبيه عاقل طبعة الجامعة السورية دمشق١٩٦٤.

٢٠- العقد الفريد لابن عبد ربه الأندلسي.

٢١- الدولة العثمانية د. علي حسون.

٢٢- محمد الفاتح د. سالم الرشيدي.

٢٣- الأمم والملوك للطبري طبعة عامة.

٢٤- مجلة العربي الكويتية العدد رقم٢٢٥.

٢٥- مجلة الفيصل السعودية العدد٣٧

٢٦- مجلة العربي الكويتية العدد٢٥٨

٢٧- الخليفة الراشدي الخامس عمر عبد العزيز مطبعة دار المعارف بمصر.

٢٨- طبعات ابن سعد جـ٥.

٢٩- سياســة صلاح الدين الأيوبي للأستاذ دريد عبد القادر مطبعة الإرشاد بغداد.

٣٠- نور الدين والصليبيون لحسن خليل مطبعة الإعتماد ١٩٤٨.

٣١- رحلة ابن جبيز بيروت ١٩٦٤.

٣٢- التاريخ الإسلامي العام د. علي ابراهيم حسن.

٣٣- مجلة العربي عدد٢٤٣ لعام ١٩٧٩.

٣٤- Saladine and the fall off the Kingdom of Jerusalim by Stame lane pool Khayat Beirut 1967

٣٥- Saladine prince of chivalry London 1930.

الحواشي والتعليقات ولفت النظر

١) الموسوعة العربية -ص١٢٠٧-.

٢) كتاب علم التاريخ للدكتور هرنشو -ترجمة عبد الحميد العبادي- ص١٣٦- مطبعة لجنة التأليف والنشر = القاهرة ١٩٣٧=

٣) الصفحة/١١١/ من علم التاريخ لهرنشو.

٤) مقال الدكتور محمد نهاد حموي - صفحات-٣٣٣-٣٣٦-٣٣٧ من المعلم العربي العدد/٥/أيار ١٩٧٨ من مقال أهداف تدريس التاريخ.

٥) الصفحة (٣٠) من علم التاريخ لهرنشو.

٦) الصفحة (٣٠) من علم التاريخ لهرنشو.

٧) نفس المصدر السابق.

٨) كتاب علم التاريخ للبروفسور هرنشو.

٩) مقدمة ابن خلدون ص/٧/ الطبعة العادية.

١٠) منهج البحث التاريخي ص/١٣٦/ للدكتور حسن عثمان-دار المعارف بمصر١٩٦٥.

١١) منهج البحث (ص١٣٧)

١٢) الآية /٦/السورة: الحجرات.ق.ك.

١٣) الآية /٢/من سورة الضلاق.ق.ك.

١٤) الصفحة (١٤١)و(١٤٢) من علم التاريخ لهرنشو.

١٥) الصفحة (١٢) من مجلة العربي الكويتية العدد/٢٦٠/ من مقال الدكتور زكي نجيب محمود.

١٦) الصفحة (١٣٨) من كتاب دراسة الكتب المقدسة /بوريس بوكاي/.

١٧) هذه الوثيقة صادرة عن سكرتيرية الفاتيكان الطبعة /٣/ لعام١٩٧٠ وهي تحوي ١٥٠ صفحة تقوم بدحض الإفتراءات السابقة ضد الحضارة العربية الإسلامية.

١٧م) محاضر فرنسي في جامعة السوربون ومعهد الفن والآثار وفي إحدى كليات جامعة نانسي و(كان) وجامعات أخرى.

١٨) من محاضرة ألقاها البروفسور بيرجرون منذ عدة سنوات في صالة شوبان في باريس تحت عنوان سوريا فن وتاريخ في أواخر الستينات.

١٩) من مقال في جريدة الثورة السورية في معرض تقديم وسام الإستحقاق السوري من الدرجة الأولى لبيرجرون تقديراً لجهوده التاريخية من قبل الفريق حافظ الاسد عام١٩٦٩.

٢٠) الصفحة /٤/ من المجلة الألمانية الشهرية-أيلول١٩٦٨ مقال بقلم الدكتور هانزجوزيكة.

٢١) الصفحة (٢٥٤)و(٢٥٥) من خطط الشام لمحمد كرد علي جزء/٢/ طبعة دار العلم للملايين عام١٣٨٩-١٩٦٩م.

٢٢) الصفحة(٧٥) من أصول التاريخ الأوروبي لهربرت فيشر-نشر دار المعارف بمصر.

٢٣) كتاب معالم تاريخ الشرق الأدنى لعبد العزيز عثمان ١٩٦٨ دار الفكر الحديث بلبنان. وكتاب (الرافدين) تأليف سيتون لويد وتعريب طه باقرص/٨٢/.

٢٤) صفحة/٤/ من كتاب معالم الشرق الأدنى للأستاذ عبد العزيز عثمان.

٢٥) صفحة/٥٠/ من جـ١م١ من كتاب قصة الحضارة لول ديورانت ترجمة/د/بدران.

٢٦) صفحة/٥٠/ من جـ١م١ من كتاب قصة الحضارة لول ديورانت ترجمة/د/بدران.

٢٧) أحد ملوك الدولة البابلية المشهورين بفتوحاتهم وتنظيماتهم.

٢٨) الصفحة (١٩٣) جـ١م١ من كتاب قصة الحضارة.

٢٩) الصفحة (٧) من الأخلاق الإسلامية للدكتور عبد الرحمن الميداني.

٣٠) الصفحة (١٤)و(١٥)و(١٦) من الأخلاق الإسلامية لعبد الرحمن الميداني.

٣١) الآية/٧/ من سورة الحج ق.ك.

٣٢) الآية/١٢/ من سورة الجمعة ق.ك.

٣٣) الصفحة (٧) من الأخلاق الإسلامية.

٣٤) كتاب دستور الأخلاق في القرآن محمد عبد الله دراز طبعة ١٩٧٣ لمؤسسة الرسالة ودار البحوث العلمية بالكويت.

٣٥) نفس المصدر السابق.

٣٦) مقدمة دستور الأخلاق.

٣٧) الصفحة (١) من النظم في الجاهلية والإسلام للدكتور نبيه عاقل-طبعة الجامعة السورية-دمشق/١٩٦٤/.

٣٨) الصفحة(١) من النظم في الجاهلية والإسلام.

٣٩) الآية /٩٠/من سورة المائدة (يأأيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم ترحمون).

٤٠) الصفحة/٤٠/ من كتاب الدكتور نبيه عاقل، و الأمالي لأبي علي القالي١-٤٣.

٤١) الصفحة(٦) من النظم في الجاهلية والإسلام.

٤٢) الصفحة(٧) من نفس المرجع.

٤٣) الصفحة(٨٩) من نفس المرجع.

٤٤) الصفحة (١١) من نفس المرجع.

٤٥) الصفحة (١٢) من نفس المرجع.

٤٦) الصفحة (٣٨) من نفس المرجع.

٤٧) الصفحة (٣٩ و٤٠) من المرجع السابق.

٤٨) الصفحة (٣١) من المرجع السابق.

٤٩) الصفحة (٣٢-٣٣) من المرجع السابق.

٥٠) الصفحة (٥٠) من المرجع السابق.

٥١) الصفحة (٥٤و٥٥) من المرجع السابق.

٥٢) الصفحة (٥٥و٥٦) من المرجع السابق.

٥٣) الصفحة (٥٩) من نفس المرجع.

٥٤) الصفحة (٦٠) من نفس المرجع.

٥٥) الصفحة (٢٤١) من دستور الأخلاق للدكتور عبد ا لله دراز.

٥٦) الصفحة (٢٤٢) من دستور الأخلاق.

٥٦م) الآية /١١٩/ من سورة التوبة ق.ك.

٥٧) الآيــة (ولا تقتلوا أنفسكم) (ولا تقتلوا النفس التي حرم ا لله إلا بالحق)السورة٦الآية١٥١ق.ك.

٥٨) (ولا تمـدن عينيك إلى ما متعنا به أزواج منهم، زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وأبقى) سورة طه الآية/١٣١/ق.ك.

٥٩) الصفحة (٥١٣) من دستور الأخلاق.

٦٠) التوسع راجع بحث الجهد في دستور الأخلاق للددكتور دراز.

٦١) الآية /١٠٥/ من سورة التوبة ق.ك.

٦٢) الآية /١٣٦/ من سورة آل عمران.ق.ك.

٦٣) عن أبي ثعلبة.

٦٤) الصفحة (١٣) من دستور الأخلاق.

٦٥) الصفحة (١٥) من دستور الأخلاق.

٦٦) للتوسع في هذا التقسيم كتاب دستور الأخلاق.

٦٧) جـاء في الـحديث الشريف (خياركم خياركم لنسائهم) لأن صـدق الأخلاق يتبدى أكثر وضوحاً للزوجة المرأة التي أعطتها الأعراف الإسلامية مكانة رائعة، وأيضاً عن الترمذي باسناد عن

أبي الدرداء قال (ص) : (ما من شيء أثقل في ميزان المؤمن يوم القيامة من حسن الخلق، وإن الله يبغض الفاحش البذيء).

٦٨) (ولما جاء عيسى بالبينات قال جئتكم بالحكمة) سورة الجامعة آية/١٢/.ق.ك.

(أدع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة) سورة النمل آية /١٢٥/ق.ك.

(يؤتي الحكمة من يشاء......) سورة البقرة-الآية ٢٦٩/ق.ك.

٦٩) (وتعاونوا على البر والتقوى) سورة المائدة=آية٢=ق.ك.

٧٠) (قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لايعلمون) سورة الزمر الآية/٩/ق.ك.

٧١) (فمن يعمل مثقال ذرة خير يره) سورة الزلزلة الآية/٧/ق.ك.

٧٢) (واخفض جناحك للمؤمنين) سورة الحجر آية ٨٨ق.ك.

٧٣) (واصبر على ما يقولون واهجرهم هجراً جميلاً) سورة المزمل آية/١٠/ق.ك.

(فاصبر أن العاقبة للمتقين) سورة هود الآية/٤٩/ق.ك.

٧٤) (ياأيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا إن الله مع الصابرين) سورة الأنفال الآية٤٥ق.ك.

٧٥) (فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر فإذا عزمت فتوكل على الله إن الله يحب المتوكلين) سورة آل عمران الآية ١٥٩ق.ك (يروي البخاري عن ابن أسامة الحديث الشريف: (إنما يرحم الله من عباده الرحماء)

٧٦) سورة المائدة الآية/٩٠/ق.ك.

٧٧) (أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم) سورة النساء-الآية٥٩/ق.ك.

٧٨) الآية/١٣/ من سورة النمل ق.ك.

٧٩) الآية/١/ من سورة النساء والآية/١٣/ من الحجرات.ق.ك.

٨٠) رقم/١٠/ بحثنا القيم والأعلاف.

٨١) (وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما....) سورة الحجرات الآية٩ق.ك.

٨٢) (ولاتستوي الحسنة ولا السيئة إدفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم) سورة فصلت الآية/١٤/ق.ك.

٨٣) (فاصفح الصفح الجميل)... الحجر الآية ٨٥ق.كز

٨٣م) (يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعهد ؟.....) سورة المائدة آية /١/ق.ك.٨٤) /٨١/.

٨٥) يروي الترمذي عن عائشة (لم يكن رسول الله/ص/ فاحشا ولا متفحشاً ولا يجزي السيئة بالسيئة).

٨٦) (ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين) سورة آل عمران آية ١٣٩ق.ك.

٨٧) (ولا تمنن تستكثر) سورة المدثر آية /٦/ق.ك.

٨٨) (فأصلحوا بينهما بالعدل واقسطوا إن الله يحب المقسطين) الحجرات الآية٩ق.ك.

٨٩) السورة ٦-الآية وسورة طه الآية ١٣١ق.ك.

٩٠-٩١) سورة الحجرات الآية ١١و١٢ ق.ك.

٩٢) الرقم ٧٥.

٩٣) (هو الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن إليها) سورة الأعراف١٨٩ق.ك. وأيضاً (ياأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم) سورة الحجرات الآية/١٣/ق.ك.

٩٤) الصفحة (١٢٩) من العقد الفريد لابن عبد ربه الأندلسي جـ١.

٩٥) الصفحة (١٢٨) من المصدر نفسه.

٩٦) الصفحة (٣١) من كتاب الدولة العثمانية للدكتور علي حسون وكتاب محمد الفاتح للدكتور سالم الرشيدي.

٩٨) والي الأمويين على المدينة.

٩٩) الصفحة /٦/ جزء٢ من تاريخ الأمم والملوك.

١٠٠) الصفحة (١٣١) من مجلة العربي الكويتية رقم٢٢٥.

١٠١) الصفحة (١٣١) من نفس المجلة.

١٠٢) الصفحة (١٣٠) من نفس المجلة.

١٠٣) كتاب الخراج لأبي يوسف القاضي.

١٠٤) الصفحة (٩٣)ج١ من خطط الشام لمحمد كرد علي.

١٠٥) الصفحة (٩٤)ج١ من الكتاب السابق.

١٠٦) الصفحة (٩٩)ج١ من نفس المرجع السابق.

١٠٧) واليها من قبل عمر بن عبد العزيز.

١٠٨) واليها من قبل الأمويين.

١٠٩) الخليفة عمر بن عبد العزيز.

١١٠) الصفحة(١٣٨)ج٨ من تاريخ الأمم والملوك.

١١٠م) سورة الأنفال الآية/٤٥/ق.ك.

١١١) الصفحة(١٠٢)ج١ من العقد الفريد لابن عبد ربه الأندلسي.

١١٢) الصفحة (١٠٠)ج١ من العقد الفريد.

١٣) البقرة/٢٨٢/ والنساء/٢٩/ والتوبة/٢٤/ق.ك.

١٤) المطففين ١و٣-الرحمن٧-٩-الأنعام١٥٢ ق.ك.

١١٥) بحلة الفيصل السعودية ص١٣١العدد٣٧ وصحيح مسلم ص٩٩.

١١٦) الصفحة (٣١) من العدد ٣٧ من مجلة الفيصل.

١٧) (سورة الأعراف الآية/٣٢، سورة البقرة الآية١٨٥،١٨٦) ق.ك. وبحلة العربي العدد/٢٥٨/ مايس١٩٨٠.

١٨) المقصود به عمر بن الخطاب.

١١٩) Saladine And Fall Of The Kíngdím Ofjernsalim Stans Lane Pool Khayt Beirut 1967

١٢٠) سورة الحجرات وخطبة الوداع(ص).

١٢١) كتاب الخليفة الراشدي الخامس عمر بن عبد العزيز مطبعة دار المعارف بمصر.

١٢٢) الصفحة (٢١)من كتاب الخليفة الخامس......

١٢٣) طبقات ابن سعد ج٥.

١٢٥) الصفحة (٤٢٧) من تاريخ الطبري ج٦ طبعة دار المعارف.

١٢٦) الصفحة(١٢) من كتاب الخليفة الخامس عمر بن عبد العزيز.

١٢٧) الصفحة (١٩-٢٠) من المرجع السابق.

١٢٨) الصفحة (٥٨) من كتاب صلاح الدين -لدريد عبد القادر- مطبعة الإرشاد في بغداد.

١٢٩) الصفحة (٥٨) من نفس المرجع السابق.

١٣٠) الصفحة (٥٩) من المرجع السابق.

١٣١) الصفحة ٦٠و٦١) من نفس المرجع السابق.

١٣٢) الصفحة (١٥٧) من كتاب نور الدين والصليبيون لحسن خليل - دار الفكر العربي مطبعة الإعتماد عام ١٩٤٨م.

١٣٣) الصفحة ١٥٠) من كتاب نور الدين والصليبيون.

١٣٤) الصفحة (٣٧) من كتاب نور الدين والصليبيون.

١٣٥) الصفحة (٥٦)ج٢ من خطط الشام لمحمد كرد علي.

١٣٦) الصفحة (٦٣) من سياسة صلاح الدين لدريد عبد القادر.

١٣٧) الصفحة (١٠٥) من المرجع السابق.

١٣٨) المرجع الصفحة (١٣٥) من سياسة صلاح الدين لدريد عبد القادر.

١٣٩) الصفحة (١٢٥) من نفس المرجع السابق.

١٤٠) الصفحة (٥٢) من النوادر السلطانية.

١٤١) الصفحة (٢٢١) من سياسة صلاح الدين وكتاب الروضتين٢/٣٣.

١٤٢) الصفحة (٢٤١) من سياسة صلاح الدين.

١٤٣) Saladine prince of chivalry London 1930 P.182.

١٤٤) سياسة صلاح الدين الصفحة (٣٣٦).

١٤٥) الصفحات (١٠٨-١٠٩) الدعوة للإسلام لأرنولد.

١٤٦) الصفحة (٤٣) من رحلة ابن جبير-بيروت ١٩٦٤ وصفحة٤١٨ من سياسة صلاح الدين.

١٤٧) الصفحة (٣٩٣) من التاريخ الإسلامي العام للدكتور علي ابراهيم حسن.

١٤٧م) سورة الحجرات.

١٤٨) فيلسوف فرنسي متحرر رشح نفسه عام ١٩٨٠ للإنتخابات من أجل رئاسة الجمهورية الفرنسية مجلة العربي تشرين الثاني١٩٨٠.

١٤٩) الصفحة (٢٤٩ من مجلة العربي العدد /٢٤٣/ لعام١٩٧٩ شباط للدكتور أحمد كمال أبو المجد.

١٥٠) المرجع السابق.

١٥١) الصفحة (٢٥) من مجلة العربي (٢٤٣) لعام١٩٧٩.

١٥٢) الصفحة (٢٦) من نفس المجلة.

١٥٣) القسم الأول من بحثنا القيم والأعراف.

الباب الثاني

أمثال القيم والأعراف الأخلاقية

أمثال القيم والأعراف الأخلاقية

لقد اتسم الشرق العربي عامة بتقيده بالمثل العليا والأعراف الأخلاقية منذ العصور القديمة، والوثائق التاريخية الكثيرة التي عثر عليها بالمنطقة تظهر إهتمام الناس بالقيم منذ عصور موغلة بالقدم، وما شرائع حمورابي إلا ثمرة وأعراف سائدة في المجتمع الشرقي عندئذٍ، والأديان السماوية التي ظهرت في المنطقة برهان كبير على تقيد الشعوب العربية السامية بالقيم الأخلاقية. ولقد حاقت بالأمة العربية في نهاية العصور السطى مصائب ومحن تمثلت بالغزو المغولي ثم بالحروب الصليبية، وبالخلافات، وبالانقسامات، ومع ذلك خرجت الأمة العربية منها مستمرة في أداء رسالتها الإنسانية وكل ذلك لتمسك الأمة العربية بقيمها وأعرافها.

وكل مدينة لاتخرج عما اتسمت به أجزاء الوطن العربي من تمسكها بقيمها وأعرافها المستمدة من تجارب الناس في حياتهم وأعمالهم، بل لعلها تزيد في ذلك لأنها تقع في منطقة وسطى في القطر العربي السوري.

يصف الباحث الحمصي الصديق باسيل سمين أبناء بلده بما يلي:

"كان للمسجد والأسواق والحمامات والمضافات أثر أخلاقي روحي على الحمصيين إذ فيها تكون الفوكلور الشعبي على مر الزمان وانبثق في هذه الأماكن (أي الأسواق والحمامات..) يتبادلون أحاديث مادتها الفروسية والشهامة والمروءة، وفيها فسرت العقيدة تفسيراً إنسانياً ووضعت في إطارها الروحي الرفيع... وهكذا نشأ الحمصي شهماً نبيلاً، عزيز النفس، رقيق الحاشية، مطبوعاً باللطف والأدب، يلين حتى مع أعدائه، يعطف على الفقير ويؤانسه... يندفع نحو البذل والعطاء، يحب

أمته ووطنه يضحي بماله وحياته في سبيلهما بدون غرور يتلقف الأمور الجديدة بصدر رحب، ويبتعد عن الإسفاف والتقليد الأعمى...".

وأمثال القيم تأتي كنوع من تنظيم لعلاقة الأفراد في الجماعة والحكم السائدة، وتنظم المجتمع الإنساني، وبعض هذه الأمثال يأخذ اتجاه النصائح التي توحد أركان المجتمع وتعمل على بقائه سليماً معافى، (اعميل منيح بتلاقي منيح) أو تأتي على شكل دعوات (الله لا يتقل فينا أرض ولا يشمت فينا عدو).

وبعضها دعوة إلى المسالمة والهروب من المشاكل (لا أبوك ولا أبو الشيطان).

وبعض الأعمال تحدد الطريق إلى اتباع المنهج الأمثل والطريقة الخيرة في التعامل مع الآخرين:

•(أعطي العامل أجرو قبل أن يجف عرقو)،

وهناك أمثال تمتدح الأخلاق الحسنة بأسلوب ذم الصفات السيئة والبعد عنها (الله ما بِحبْ مُتَكَبِرّ ولا مُتْجَبِّر). وقليل من الأمثلة يدعو إلى الأنانية والهروب من الواقع:

•(الدنيا مع الواقف)، (مشي الحيط الحيط وقول يا رب السترا).

ونادرها يدعو إلى الحذر والترقب بشكل سلبي: (تسمّع ولا تِحكي) (تسوق ولا تبيع)، و(وشوف ولا تاكل).

وفيها ما يدعو إلى الإستسلام والقناعة: (الدنيا بْتِسوَى بصلي) و(الدنيا دْنِيِيّ)

وجل هذه الأمثال مستمد من المعاشرة اليومية أو من الأحاديث الشريفة والكتب السماوية، وهي بعامتها تقريباً تتمشى مع الصالح العام، وتمتين الصلة بين أفراد المجتمع، بأساليب تربوية أو نفسية فلسفية منطقية، تميل إلى الإيجاز. ولكنها بمجموعها مدرسة تهدف إلى إنشاء مجتمع إنساني مبني على أواصر المحبة والتسامح البناء، وإنشاء الجيل النموذجي بأخلاقه وأعماله وهي تبحث في التأني وعرفان الجميل، وتدعو إلى الكبرياء والكرامة وتنهي عن الحسد والبخل والطمع والأنانية والرياء، وتدعو إلى العدل والحق والحياة الكريمة، والعلم، والشرف، والصدق، والتعاون واحترام أفراد المجتمع كباراً وصغاراً.

حرف الألف (أ)

•(ابدأ بِنَفْسَك) = من الحديث الشريف وهذا المثل سائد في البيت والشارع وفي المجتمعات.

•(ياأم الوَلَد لا تَكوني بَخيلي مْراضاتْ الوَلَد شي قَليلي) = لنصح السيدات بان أطفال الجيران يرضون بالقليل وإعطاء القليل يمتن الأواصر الإجتماعية.

•(أَكلْتو لَحْمي ورَمِتو عَضْمي) = يحض على الإخلاص واستمرار المودة بطريق نقض وذم نكران الجميل.

•(الله يِسْعِدُن ويَبِعِدُن) = يقال هذا المثل الذي هو بشكل دعاء من الأولاد عندما يكونو ا بعيدين عن والديهم وأقربائهم.

•(الله لا يِتَقِّل فينا ارض ولا يْكَرِه فينا عَبْد) = يدعو بها كبار السن حتى لايكونوا عبئاً على ذويهم.

•(أَلْف أم تِبكي ولا أُمي) = من أمثال القيم الأنانية لا يقولها الإنسان إلا في حالة يأس وقنوط.

•(مِنْ أَمَنَّك لاتْخونو ولَو كُنْت خوّان) =

•(الأَمْن زينِت الحُكْم) =

•(أَنا أعوذُ بالله مِـنْ كِلْمـت أَنـا) = يقـال المثـل عندمـا يتحـدث الإنسـان بصيغة أنا فعلت أنا عملت ثم يستدرك كلامه بالمثال.

•(الأَهْل أَهْلَك ولَوْ رَموك بالمَهْلَك) = الحض على البر بالأهل مهما صدر منهم من أخطاء.

•(الإيد اللِّي ما بْتِقْدِر عْلِيّا بوسـا وادْعـي عْلِيّـا بالكَسْـر) = مـن القيـم الفاسدة لدى أصحاب المصالح من الناس.

•(الإيد العالي خير مِنْ الإيد الواطيي) = الحض على عمل الخير.

•(الأَرْضْ عَرْضْ) =تقديس الأرض والحفاظ عليها واذكر أن بعض النسوة قد هددن أزواجهن بالفراق حتى لايبيعوا الأرض.

•(لا أَبوك ولا أبو الشيطان) = الدعوة إلى المسالمة.

•(إِلهي مِتِل ما كَفيتْنا تِكْفي كُلْ أُمَمَك) = دعوة تدل على تمجيد الإنسانية في كل بقاع الأرض.

•(اثْنينْ لا تَقْرَبْها الشِرْك بالله والإضْرار بالناس) =

•(أَفْضَل المَعْروف إِغاثَة المَلْهُوف) =

•(الله ما بِحُب لا مُتَكَبِّر ولا مُتَجَبِر) =

•(الإنسان بِينْرِبِط من لسانو) = بمعنى المحافظة على العهـد وعـدم النكـوص عن الوعد.

•(افلاح أَرْضَك وصون عَرْضَك) = لقـد ربـط هـذا المثـل مـابين العمـل والمحافظة على الشرف.

•(أَعطي الإِجير إِجْرْتو قَبْـل مـا يِنْشَـفْ عَرَقـو) = من قـول عمـر بـن الخطاب على أصح الأقوال وقد تحول إلى مثل شعبي.

•(إنّما الأعمال بالنيات) = التأكيد على النية للعمل الصالح أو غير الصالح وهنا يتدخل أهمية الضمير.

•(اللي بدُو ياكل عَسَل بدّو يُصبْر على قَرص النّحل) =

•(إبن آدم لو لا الظَّني دَخَل الجَني) = هذا المثل يؤكد على حسن الظن بالناس وأن سوء الظن خطأ.

•(قول للأَعْوَرْ أَعْوَر بِعينك) =وهل ينتفع هذا المثل مع بعض الناس؟.

•(أَبوا راضي وأَنا راضي شودَخَلَك إنتي ياقاضي) = الدعوة إلى عدم التدخل في بعض الأمور.

•(ياأخي ياللي مانك لأَخوك كيف العالم بدّن يـتْرَجوك) = يؤكد هذا المثل الإحسان يكون تجاه الأهل حتى يطمئن الآخرون إليك.

•(إللّي آمن لعدو مات) = الدعوة إلى الحذر.

•(أهلك اهلك ولا تهلك) = التأكيد على أهمية الأهل.

•(أهلك ولو علكوك ما يبلعوك) = مهما قسى الأهل على الإنسان فلن يقضوا عليه.

•(أصلك فعلك يا سفرجل) = الأفعال تدل على نفسية الفرد وتربيته وهنا حض ضمني على الأعمال الطيبة.

•(الأقربون أولى بالمعروف) =

•(إذا كان الكذب بينجي فالصدق أنجى) =

•(إن كنت على بحر لاتسرف) = دعوة صريحة إلى الإقتصاد.

•(الله بيسأل عن صحبت ساعة) = التأكيد على الإهتمام بالصداقة والإخلاص والمودة بين الناس مهما كانت مدة مصاحبتهم.

•(إذا كان صاحبك عسل لاتلحسو كلو) = الإعتدال في الطلبات، "وخلقناكم أمة وسطى"ق.ك.

•(الله يجعلنا من القوم المفلحين) = دعوة من البعض ناصحين الآخرين بالعمل الطيب عن طريق غير مباشرة.

•(أرسل حكيماً ولا توصيه) =

•(الله يقرب اللي فيه الخير للجميع) =

•(إيد الأخت معلقا بالعرش) = إيد سريانية بالعربية يد وهنا لفت نظر الأخوة إهتمام بأخواتهم.

•(الإستقامي عين الكرامي) =

•(الإنسان بيرتبط من لسانو والحيوان من رسنو) = التأكيد على أهمية الوعد.

•(عند الإمتحان يكرم المرء أو يهان) =

•(اللي بياكل بالطريق ما بتنقبل شهادتو) = توجد أحياناً بعض الشدة في بعض القيم وعلى كل فإن الأكل في الطريق مكروه من نواحٍ صحية واجتماعية.

حرف الباء (ب)

•(البادئ أظلم) = مبدأ أخلاقي وتشريع أخلاقي.

•(ما بحط مي على إيد مجروح؟) = لقد ذم هذا الإنسان البخيل.

•(يابايع الحليب الله عليك رقيب) = التأكيد على الضمير الأخلاقي الباطني.

•(البدوي انتقم بعد أربعين سني وقال استعجلت) = تهديد مبطن يقوله صاحب المثل لسامعيه.

•(من بعدي لاينبت حشيش) = من الأمثال السلبية.

•(البيت اللي بتحكم فيه مرا خربان) = وفي الحق اليس التفاهم والمشاورة أفضل من تحكم احد الزوجين في رأيه؟.

•(اللي بيبزق ما بيلحس) = التأكيد على التمسك بالوعد.

•(بنت أو صبي ما في فرق كلن خلقت الله) = مثل جميل يتكرر دوماً للتأكيد على المساواة بين الذكر والأنثى.

•(بكي ابنك أحسن ما تبكي علاي) = الحض على التربية الحازمة للأولاد.

•(اللي بيبطر الله بيمسخو) = مثل تهديدي لأولئك الذين لايرعون مالاً ولا سمعة ولا إنساناً.

•(بعد حالي ماعاش مالي) = التأكيد والحرص على أهمية الإنسان.

•(البيع والشري بالرضى) = مبدأ اقتصادي جميل.

•(بدو قط من خشب يصطاد ما ياكل) = مثل بشكل مداعبة وتعريض للبخيل ليرعوى.

•(ما بياخد الإنسان معو إلا عملو) =

•(بيناتنا خبز وملح) = هذا المثل قديم وفيه تقديس للعلاقة الإنسانية.

•(يا بركة الشريكين لو كانوا على فرد قلب) = الحض على المودة.

•(بني آدم بيرتبط من لسانو والحيوان من دانو) =

•(اللي يبلي يعين واللي ابتلى يصبر) = الدعوة إلى التحمل بالصبر.

•(بني آدم لولا الظني دخل الجني) =

•اللي بدك تعملو بكرا اعملو اليوم) =

حرف التاء (ت)

•(تمي أقرب من أمي): من الأمثال السلبية.

•(تاج المرء التواضع): من القيم الأخلاقية الإنسانية.

•(تاج المرا عفتا): التمسك بالعفة.

•(تواضع المرء يكرمو):

•(من تأنى نال ما تمنى): الدعوة إلى عدم التسرع وهذا مبدا أخلاقي واجتماعي سليم.

حرف الجيم (ج)

•(الجار أولى بالشفعا) = للجار ما يشفع له في البناء المجاور.

•(الجار ولو جار) = تحمل الجيران مهما صدر منهم فهم جيران.

•(الجب اللي بنشرب منو لاتزت فيه حجار) = الجب =البئر- تزت فيه= ترمي فيه.

•(اللي بيجرب المجرب عقلو مخرب) = لايمكن أن يتبدل الإنسان، فمن شب على شيء شاب عليه، ولكن هناك لكل قاعدة شذوذ.

•(الجني تحت أقدام الأمهات) =

•(الجود من الموجود) = يجود الإنسان على قدر طاقته (لايكلف ا لله نفساً إلا وسعها).ق.ك.

•(لاتستحي من إعطاء القليل فالحرمان أقل منه) =

•(تجوزوا فقراءكم يغنيكم الله ويغنيهم الله) = وهذا المثل يؤكد على أن لايكون الإرتياط الزوجي لغاية تجارية.

•(الجاجي بتشرب وبتطلع لربا) = وبالشكر تدوم النعم.

•(ما يجوز نفع ناس وضرر ناس) = يؤتى بهذا للتأكيد على التساوي في معاملة الناس.

•(الله يجيرنا من ساعت الغفلي) =

•(جمال الوجه من جمال الأخلاق) = هل يصدق هذا المثل دوماً.

•(جرح اللسان أصعب من السهام) = وهذا قريب من البيت الشعري:

•وقد يرجى لجرح السيف برء •ولا برأ لما جرح اللسان.

•(اللي بيتجوز بالدين بيجوا ولادو بالفايظ) = التأكيد على عدم الإعتماد على القروض وبيان مضارها.

•(إن جيبت من السفر جيب لأهلك ولو حجر) = دعوة لإشاعة المحبة بين أفرد الأسرة بأشياء صغيرة محببة.

حرف الحاء (ح)

•(من حفر حفرة لأخيه وقع فيها) = التحذير من عمل الشر للإيقاع بالآخرين فربما وقع فاعل الشر نفسه بالأذى.

•(اللي بحب بلدو بحب وطنو) = محبة الأجزاء من الوطن تعني محبة الكل في هذا المثل.

•(الحق يعلو ولا يعلى عليه) = وضع الحق في أعلى المراتب.

•(حوالينا ولا علينا) = هذا من القيم القليلة التي تحمل الأنانية.

•(من حضر القسمة فليقتسم) = وهذا مبدا لعدم إشاعة الفرقة والتباغض بين الحاضرين.

•(حب الوطن قتال) = وهل هناك أجمل من هذه المحبة؟.

•(لايحيق المكر السيء إلا بأهلو) = الحض على عمل الخير لأن عمل الشر يصيب صاحبه بالنهاية.

•(الحيا من الإيمان) = يمجد هذا المثل الحياء عند الناس أي التقيد بالمثل العليا.

•(اللي استحوا ماتوا) = لايدعو هذا المثل إلى اليأس بل هو بطريق غير مباشر يحرض على الحياء.

•(الحذر لايمنع القدر) = يقال هذا المثل حتى في الأوساط الشعبية.

•(احفور بالفأس ولا تحتاج الناس) = يحض هذا المثل على الإعتماد على النفس وامتهان أية مهنة.

•(احفاظ عتيقك جديدك بيصير عتيق) = لإشاعة المودة في الإخلاص لكل الناس.

•(قول الحق ولو على نفسك) = التشجيع على الصدق.

•(حب الوطن من الإيمان) = ربط حب الوطن بالإيمان با لله.

•(اللي ما بيحسب للرجال حساب مانو رجـال) = لإشاعة الإحترام في المجتمع وهذا مبدا أخلاقي كريم.

•(محبة النفـس مانـا منكـورا) = مـن لايحب نفسـه ويحترم ذاتـه لايحترم الآخرين.

•(الإحسان بيقطـع اللسان) = الدعوة إلى الكرم.

•(الإحسان بيربط الإنسان) = الكرم يؤدي إلى ترابط الناس في المجتمع.

•(الحسود لايسود) = ذم الحسد وأن الحسود لايرتقي إلى المناصب العليا.

•(من حرم وارث من ورتتو حرمو الله من جنتو) =

•(حسـب نيـاتكم ترزقـون) = الدعـوة إلى النيـة الحسـنة الـتي تسبق العمـل الحسن.

•(لايحيق المكر السيء إلا بأهله) = الدعوة إلى نبذ إلحـاق الأذى بالنـاس لأن الأذى سيلحق صاحبه.

•(حكم المرا صعب) = وخاصة إذا كانت قاسية القلب انانية جاهلة.

•(حلم معاوية قتل غـلام) = للتـأكيد علـى القصـاص حتـى يتعـود الجميـع الصدق في المعاملة.

•(مين حسبك بسعرو مـاظلمك) = يدعـو هـذا المثـل إلى المعاملـة الواحـدة للجميع.

•(الله لايحيجنا إلا لوجهو الكريم) = الدعوة إلى عزة النفس وأن لانحتـاج إلى أحد.

•(ما حك جلدك مثل ظفرك فتولى أنــت جميـع أمـرك) = الدعـوة إلى الإعتماد على النفس في كل أمور الحياة.

•(حبل الكـذب قصـير) = الحـض على الصـدق ونبـذ الكـذب لأن نهايتـه سريعة وسيئة.

•(إن حبيت حب أمير وإن سرقت سروق حرير) = يقال هذا المثل إذا وقع خلاف بين اثنين ثم تصالحا.

•(حكم التراضـي خير من حكم القاضـي) = وهل هناك أجمل من الصلـح الذي هو سيد الأحكام.

•(الحميماتي مابتقبل لشهادتو) = الحميماتي هو يمتهـن مهنـة كـش الحمـام الزاجل بقصد كسب طيور جيرانه وزملائه وهو بحكم وقوفه علـى أسـطح البنايـات يصدرا اصواتاً ويرمي اشياء كثيرة لذا كان ينظر إلى عمله بعين غير راضية.

•(اللي حيطانو من أزاز لايرمي علناس الحجـار) = الازاز= الزجـاج والمقصود هنا ان الفرد الكثـير العيـوب لايذكـر عيـوب ونواقـص الآخريـن. وكمـا قيل=كان لدينا رجل بالمدينة ليس له عيوب فتكلـم في عيـوب النـاس فـأصبحت لـه عيوب.

حرف الخاء (خ)

•(يخطـئ القاضـي في العفو خير من أنتخطـئ فـي العقوبـا) = قـاعدة قانونية وأخلاقية.

•(الخطا يصـحح) = قاعدة قانونية.

•(خود الأصيل ونام علـى الحصـير) = حـول اختيـار شـريك الحيـاة أو الصديق من الناس الكرماء.

•(خـير الأمـور الوسـط، أو أوسـطها) = وهـذا يدعـو إلى الإعتـدال في الأمور.

•(خير الكلام ما قل ودل) = قاعدة أخلاقية فلسفية.

•(اللي مابخاف من الله خاف منو) =

•(الأخلاق بتجيب الأرزاق) = وتعني المعاملة الحسنة والخلـق القويـم مجلبـة لتعامل الناس معهم.

•(الخير فيما اختارو الله) = قبول الأمر الواقع على الإقتناع والإيمان

•(خذو الخير من حسان الوجوه) = من الحديث الشريف. وليس حسـن الوجه جميل بل المقصود: الإطمئنان.

•(اللي خلقو ما بينساه) = التأكيد على والإيمان بأن الله يرزق الجميع.

•(الله خلقن وهو بيرزقن) =

•(المخجل عدو مبين) = وهنا يعـني أن الإحـراج يـؤدي إلى إربـاك الأفـراد وخسارتهم ويعتبر المخجل بذلك عدو.

•(خير ما بتعمل شر ما بتلاقي) =

•(خود الدوا من عبد الله واتكل على الله) =

•(خير البر عاجلهو) = وما الحاجة إلى الخير إذا تأخر قدومه وحاجته.

حرف الدال (د)

•(الدنيا مع الواقف) = يقال في ساعة يأس عندما لايؤيد الناس المظلوم أو الذي يشعر أن ظلماً وقع عليه أو أن الناس تحيزوا ضده.

•(الدين المعاملي) = الدعوة إلى حسن المعاشرة وصدقها.

•(يادلو اللي عيشو من خيو ولو كان أخوه العزيز علاه) = جاءني المثل من غربي حمص.

•يادلو = أي ياذله من يعيش عالة حتى ولو كان على حساب أقرب الناس إليه.

•(الدين النصيحا) = أي أن إبداء النصيحة نوع من الإيمان بالدين.

•(الدين هم بالليل وذل بالنهار) = الدين هنا القرض والمعنى معروف في هذا المثل.

•(الدايم هو الله) = يقال عند التأسي على الشخص الميت.

•(الدين غضب الوالدين) = الدين هنا القرض وأنه غضب الوالدين والغاية ذم الدين.

•(اللي بدور على ربو بيلاقيه) = وطبعاً بالأعمال الخيرة للجميع وبالتقيد بالقيم الأخلاقية والمثل العليا.

•(الإيد العالي أفضل من السيد الواطي) =

• (داروا سفهاءكم) = السفيه غالباً الجاهل وقد يقصد به من يعلو بصوته ويكثر من جلبته وهنا يطلب مراعاة حالته.

•(مابدوم إلا وجهو الكريم) = عند وفاة الشخص.

•(على درب الحج بيسقوا مي) = الدعوة إلى عمل الخير.

•(دعوة الاب مستجابي من الرب) = لأن الأب يدعو من صميم قلبه لساناً وفكراً بينما الأم تدعو بعاطفتها.

•(الدنيا مابتسوى قشرت بصلي) =

•(الدنيا غدارا) =

•(الدنيا دنيي) =

•(الدال على الخير كفاعله) =

حرف الذال (ذ)

•(الذكرى تنفع المؤمنين) = ق.ك.

•(الذكرى والثنا خير من الغنا) = الذكرى الحسنة.

•(من ذكرني بعضمي كنت عنده عظيم) = المقصود ذكر الشخص بغيبته.

•(ذل مالك ولا تذل حالك) =

•(ما بيذكر الفضل إلا أهل الفضل) = العرفان بالجميل من الصفات الحميدة في الإنسان.

حرف الراء (ر)

•(لا ترفس النعمي) = دعوة أخلاقية لعدم الإسراف واحترام الرزق.

•(الرزق عطاوى من الله) = وطبعاً يكون ذلك باستمرار العمل.

•(يارايح بلا عزيمي بترجع قليل القيمي - أو قاعد بلا قيمي) = لقد أكدت الأمثال دوماً على التمسك بالكرامة.

•(رأس الحكمة مخافة الله) =

•(رحم الله امرءاً عرف حده فوقف عنده) = يدعو هـذا المثل إلى عدم التمادي في التدخل فيما لايعني الشخص.

•(أرحموا كريم قوم ذل) = فصيح - من القيم الأخلاقية الخيرة.

•(راح الغالي ولا أسفاه على الرخيص) = للتخفيف من وقع مصيبة أو خسارة حدث قبلها أكبر وأعظم منها.

•(الردى كل ما ترجيتو بيتمرد) = يقال المثل ليرعوي الشخص الموجه إليه طلب فعل معين.

•(المركب اللي ما فيه لله بيغرق) = الدعوة إلى إشاعة عمل الخير.

•(أرحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء) = جزء من الحديث الشريف.

•(لاراحة لمؤمن حتى يلقى وجه ربه) = لبيان أن الحياة الدنيا مليئة بالمنغصات والمتاعب.

•(رعايت البقر ولا حاجة البشر - ولا رعايت البشر) = لتقديس العمل والإعتماد على الذات.

•(من رادك ريدو ومن كرمك زيدو) = من الأمثال التي تدعو إلى المساواة والمعاملة بالمثل.

•(الرجال عند أقوالا) = لتشجيع الناس على احترام العهود وأن هذا من صفات الرجولة الحقة.

•(ياريت إيد اليمين ما تعتاز إيد الشمال) =

•(أنت بتريد وأنا بريد والله يفعل ما يريد) =

•(رضا الأب من رضا الرب) = من الحديث الشريف - رضا الرب في رضا الوالد وسخط الرب من سخط الوالد أخرجه الترمذي عن عبد الله بن عمر.

•(رغيف برغيف ولا ييات جارك جوعان) = للتعاون مع الجيران.

•(ياروحي ما بعدك روح) = يقولها الشخص في لحظة اليأس والضعف.

•(إن ارتكبتم المعاصي فاستتروا) =

حرف الزاي (ز)

•(مثل مابتزرع بتلاقي) = من الحديث الشريف - أحرثوا فإن الحرث مبارك.

•(الزيت إذا لزم لصاحبو حرم على الجامع) = ومن الطبيعي أن الله لايكلف نفساً إلا وسعها.ق.ك.

•(مثل ما بتزرع بتحصد) = المثل يحض على عمل الخير والمعروف لينال صاحبه الخير والمعروف بالمقابل.

•(زمار الحي مانو مطرب) = يؤتي به لبيان أن الذين يحيطون به عرفوا كل شيء عنه وألفوه فلا يستغربون مايأتي به عكس الغرباء.

حرف السين (س)

•(اللي بيسعى بالخير متل فاعلو) = المساواة بين من يعمل الخير ومن يسعى في تيسيره.

•(سيد القوم خادمهم، سيد القوم أشقاهم) = يقال هذا مجاملة عندما يقوم الكبير بخدمة لمن هم أدنى منه.

•(بسواك ما بيسوى غيرك) = يقال لمن يريد أن يميز نفسه عن غيره.

•(سلامة الإنسان في حفظ اللسان) = فصيح - الحض على المجاملة وعدم التعرض للآخرين بسوء.

•(ساعا إلك وساعا لربك) = إذا عمل الإنسان عملاً مستمراً متعباً يقال هذا له للتخفيف من غلوائه.

•(السلام لله) = الدعوة إلى إفشاء السلام والمحبة بين الأفراد.

•(اسأل مجرب ولا تسال حكيم) = المجرب له خبرة يستفاد من تجاربه.

•(الله بيستر يللي بيستر) = الدعوة إلى عدم إفشاء أسرار الآخرين وهذا يؤدي إلى المحبة.

•(سلامت الإنسان في حفظ اللسان) =

•(الله بيسأل عن صحبت ساعا) = الدعوة إلى ذكر الذين تعرفنا عليهم.

•(تسمع ولا تحكي) =

•(تسوق ولا تبيع) =

حرف الشين (ش)

•(الشرط أولتو رضا وآخرتو رضا) = الحض على الإتفاق الرضائي المباشر السابق للعمل أو البيع.

•(مافي شي بيدوم) = يقال هذا لتحذير ذوي المناصب حتى لايسترسلوا في غلوهم.

• (من شابه أباه فما ظلم) = تشجيع الصغار على الإقتداء بوالديهم في الأعمال الخيرة طبعاً.

•(اشتغل بمصريي ولا تحتاج الوليي) = التشجيع على العمل وعدم الإعتماد على الآخرين وخاصة السيدات.

•(اللي بشوفني بعين بشوفو بعينتين) = رد الجميل بأكثر منه بل بمضاعفته.

•(شاور أكبر منك وأصغر منك وارجع لرأيك) = المقصود مشاورة الآخرين ويشبه ذلك الحديث الشريف /الحزم أن تشاور صاحب رأي وتطبقه/.

•(شاور ألف وراجع ألف وارجاع لشورك) = يشبه المثل السابق.

•(الشكوى لغير الله مذلي) = عدم إظهار الأسى للآخرين فمنهم شامت أو متألم.

•(الشرف ما بينباع ولا بينشرى) =

•(بالشكر تدوم النعم) = من الحديث الشريف. التحدث بنعمة الله شكر.

•(الشيب ما عيب - عيب عللي بيعمل العيب) = العيب هو العمل الشائن.

•(الشيطان ما مات) = حتى لايدخل الإنسان في التجارب أو الشبهات.

•(الشجرا اللي بتفيينا لاتدعي عليا بالكسر).

•(إن شفت بعينك ستور بذيلك) =عن الحديث الشريف من رأى عورة فسترها كان كمن أحيا موؤودة من قبرها.

•(لاتشرب من البئر وترمي فيه الأوساخ) =يؤكد هذا المثل على رد الجميل حتى نحو البئر بعدم رمي الأقذار.

•(شو باقي من العمر ليحرز التوبي) =

•(شوف ولا تاكل) =

حرف الصاد (ص)

•(الصيت المليح أحسن من المال المجموع) =

•(الصديق عند الضيق وبالفضا كلنا صحاب) =الفضا-الحالة العادية ميز المثل بين الصحبة العادية والصداقة.

•(الصديق المخسر عدو مبين) =

•(الصبر مفتاح الفرج) = يدعو هذا المثل إلى الصبر.

•(من صبر ظفر ومن لج كفر) = يدعو هذا المثل إلى الصبر.

•(صبرك على نفسك ولا صبر الناس عليك) =

•(صريف ما في الجيب يأتيك ما في الغيب) = يذكر هذا المثل لهؤلاء الذين يخشون من عاقبة الغد.

•(الصلح سيد الأحكام) = مبدأ قانوني وأخلاقي واجتماعي جميل.

•(صدقى قليلي بتدفع بلاوي كتيري) = وفي الحديث الشريف =الصدقة على المسكين صدقة وعلى ذوي الرحم اثنتان (صدقة وصلة) */أخرجه النسائي عن سلمان/.

•(صفي النيي ونام بالبريي) = عن الحديث الشريف إنما الأعمال بالنيات.

•(الصديق وقت الضيق) = وهل هناك أنسب من الامتحان لمعرفة الصديق.

•(إنفع صديقك بشيء ما يضرك) = لاضرر ولا ضرار–ح.ش.

حرف الضاد (ض)

•(الضحك بلا سبب قلة أدب) =

•(الضرا مرا) = يذكر عند انصلاح شيء بعد جلب شيء مشابه.

•(إذا ضربت ضروب أمير وإذا سرقت سروق حرير) = ياويله من اتبع هذا المثل.

•وقد ذكرته لشخص وقع سوء تفاهم معه فسر منه قائلاً له أنا لا أختلف إلا مع الأمراء.

•(ما بعد الضيق إلا الفرج) = يذكر للتخفيف من وقع مشكلة أو صعوبة.

•(اللي بيضر الناس الله بيضرو) = من الحديث الشريف = من أخذ أموال الناس يريد إتلافها أتلفه الله./ أخرجه البخاري عن أبي هريرة عن المصطفى من حديث المصطفى ص٢٢٣.

•(الضيف ضيف الله) = لتشجيع إستقبال الضيف وإكرامه.

•(اللي بيكرم الضيف الله بيكرمو) = لنفس الموضوع السابق.

•(اللي مابضر ولا بينفع زتو بالعاصي أنفع) = زتو بمعنى رميه– العاصي = النهر الذي يمر بجانب مدينة حمص أو المقصود الشخص الذي لايستطيع فعل شيء مفيد.

•(اللي ما بضر ولا بينفع حطو علنعش وادفع) = النعش الخشبة التي يوضع فوقها الميت نفس المعنى السابق.

حرف الطاء (ط)

•(الطفل عدو أمو وأبوه يحبوه) = المعنى واضح.

•(الطمع ضر ما نفع) = التأكيد على ضرر الطمع.

•(طولة البال من الرحمن) = من الحديث - الأناة من الله والعجلة من الشيطان.*/اخرجه الترمذي عن سهل/.

•(طول بالك بتنال مرادك) = طول بالك أي اصبر.

حرف الظاء (ظ)

•(ظالم لاتكون ومن الدعا لاتخاف) الدعوة إلى الالتزام بالحق دون خشية من الدعاء.

•(ظلم بالسويا عدل بالرعيا) = المساواة بين الناس.

•(اللي بيتطبخ منو بتاكل منو) = يشبه المثل مثل ما بتزرع بتحصد.

•(نوم الظالم عبادي) = تقال أحياناً دعابة إذا نام الطفل الذي يزعج والدته. وإن كان المقصود هنا هدوء الظالم.

•(الظغار حارسن الله) = الظغار أي الصغار.

•(لولا الظني دخل الجني) = الدعوة إلى عدم إساءة الظن وإن كان الإحتراس ضروري.

حرف العين (ع)

•(الله لايعيز حدى لحدى) = دعوة صالحة لأن يصبح الجميع مكتفين لا يحتاج بعضهم إلى بعض.

•(وتعاونوا على البر والتقوى) = الحض على التعاون البناء.

•(القوم اللي تعاونوا ما غلبوا) = الحض على التعاون وبيان فائدته وجدواه.

•(اللي بيعين الناس الله بيعينو) = الحض على إعانة الناس وإن من يفعل يعينه الله.

•(عميل منيح وزت بالبحر) = هنا يقال لعمل الخير بدون أن ينتظر ثواباً أو مكافأة عمل الخير.

•(العدل أساس الملك) = مبدا أخلاقي وسياسي.

•(العدل ملح الحكم) = مبدأ أخلاقي عام.

•(العجلي من الشيطان والتأني من الرحمان) = من الحديث الشريف.

•(في العجلي الندامي وفي التأني السلامي) = من الحديث الشريف.

•(عز نفسك بتلاقيا) = الدعوة إلى التمسك بالعزة وعدم التهاون بحق الذات.

•(العين بالعين والسن بالسن والبادئ أظلم) = وقد أتي هذا المبدأ في شرائع حمورابي ولكن ميز بين معاملة سراة القوم وبين فقرائهم.

•"جاء في الحديث الشريف: إنما أهلك من قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه .."

•(عطي العامل أجرو قبل أن يجف عرقو) = ينسب القول إلى عمر والمعنى الإسراع بإعطاء الأجرة للعامل بسرعة.

- (لا عين شافت ولا قلب حزن) = للإبتعاد عنم المشاكل.
- (الأعمال بالنيات) = من الحديث الشريف.
- (عيش وخلي الناس يعيشو) = لحسن المعاشرة بين أفراد المجتمع.
- (عميل منيح وزت بالبحر) = مبدأ أخلاقي إنساني يبين عمل الخير من أجل الخير.
- (إذا عملت معروف استرو وإذا إجاك معروف انشروا) =
- (عز نفسك تجدها) = فصيح.
- (اللي ما عندو كبير يشتري كبير ولو حجر كبير) = يدعو المثل إلى تقدير واحترام كبار السن لخبرتهم وما قدموه من خير لبلدهم وهذا المبدأ محترم بين كل شعوب الأرض الراقية.
- (اللي بيعين الناس الله بيعينو) = يقول الحديث الشريف: من مشي في حاجة أخيه، كان خيراً له من اعتكاف عشر سنوات. أخرجه الطبراني عن ابن عباس.
- (عليك براس النبع) = يقال ذلك لنصح الأفراد بالإتصال برأس المجموعة لحل المشاكل التي تعترضهم.
- (الطمع ضر ما نفع) =
- (الطمع بالدين) = يقال للذين يطمعون لتخفيف غلوائهم في الجشع.
- (عين الحسود تبلى بالعمى) "عين الحسود فيا عود" =دعوة شعبية تردد كثيراً.
- (العطا عطا الله) =

•(العفو من شيم الكرام) =

•(العفو عند المقدرا) = مبدأ أخلاقي يدل على الرجولة وسمو العاطفة الإنسانية.

•(من علمني حرفاً صرت له عبداً) = التأكيد على احترام المعلمين.

•(بيعمل الواحد بأصلو) = الخير موجود في الجميع ولكن المثل يظهر كأن الذين يعملون الخير أناس مخصوصون.

•(اللي بيعمل منيح بيلاقي منيح) =

•(بعمل حاجتي بإيدي ولا بقول للكلب ياسيدي) = يؤكد المثل على الإعتماد على الذات في معظم الأمور.

•(عدوك لا تؤذيه إلو رب يصطفل فيه) = العفو عن الأعداء ومسامحتهم وترك أمرهم لله يفعل بهم ما يشاء. *يصطفل= بمعنى ليعمل ما يريد هذه اللفظة توجد في مدينة حمص كثيراً.

•(اللي مايعلم الكلام فيه ضرب السيف أولى فيه) = هذا المثل يعتب على هؤلاء الذين لايؤثر الكلام فيهم مهما قسا فيهم.

•(عميل خير وارميه بالبحر) = الدعوة إلى عمل الخير بدون انتظار المثوبة والمكافأة وهو مبدأ.

حرف الغين (غ)

•(إن غفلت عن الظالم أكون أنا الظالم) = يقال هذا المثل للشخص وقع عليه ظلم من آخر و لم يستطع تلافي الظلم ويقال على لسان الحق.

•(ما يغير خلقا إلا اللي الخلقا) =

•(الغربي نيران الأخلاق) = لايستطيع المغترب إلا أن يظهر على حقيقته.

•(يا غافل إلك الله) = يقوله الشخص أثناء إيراد حادثة قاسية وقعت معه وخرج منها بسلام لأن ا لله أنقذه منها.

•(الغنمي إذا وقعت بتكثر سكاكينا) = يضرب بهذا المثل عن الشخص يكثر منتقدوه إذا وقع في مأزق.

•(لا تغسلوا يوم التنين لأنو يوم الحسن والحسين) =كنت أسمع هذا كثيراً أيام صغري في أوائل الأربعينات.

•(إن غاب عنك أصلو بدلك علاي فعلو) = للآخرين تحسين أفعالهم تجاه أخوانهم.

•(الغنى غنى النفس) =

•(الغنم غنيمي) =

حرف الفاء (ف)

•(أفضل معروف إغاثة الملهوف) = من الحديث الشريف.

•(فخار يكسر بعضو) = يقال هذا المثل عند عجز الإنسان على الإصلاح بين المتخاصمين.

•(بفرنك الابارا ولا حاجتك يا جارا) = بشيء بسيط يستطيع تأمين حاجات كثيرة يؤمنها الإنسان دون حاجة الجيران *الفرنك= ويعادل خمسة قروش سورية ١/٢٠من الليرة ولم يعد يستعمل لضآلة القيمة في ١٩٨٦.

•*الابارا= مجموعة أبر الخياطة.

حرف القاف (ق)

•(القناعة كنز لا يفنى) =

•(اللي بقول أنا بتوقع علاي بلاطة من السما) = للتخفيف من غلواء الأفراد الأنانيين الذين لايهتمون بغير أنفسهم.

•(اللي ما بقول أنا ما بتوقع علاي بلاطة من السما) = يقال للتأكيد على التعاون في نجاح أي عمل.

•(على قد بساطك مد رجليك) = ينصح به الأفراد بأن ينطلقوا ضمن مكانتهم الذاتية:

•(الأقربون أولى بالمعروف) = من الحديث الشريف - فإن الصدقة لذوي الرحم صدقتان صدقة وصلة.

•(قلب الحر دليلو)-(وقلب المؤمن دليلو) = من الحديث الشريف.

•(ألف قلبي ولا غلبي) = من الأمثال ذات القيم السلبية الأنانية.

•(القسام عمرو ما دخل جني) = يذكر للتوكيد على الذي يقوم بتقسيم الأرزاق أو الأشياء ليتوخى الدقة.

•(إذا قل الحياء زاد البلاء) =

•(قلو بوشو ولا تغشو) = الدعوة إلى الصراحة وعدم الحديث غيباً.

•(الله يقرب اللي فيه الخير) = دعوة لتمني الخير للسامعين.

•(قوم يا عبدي لعينك العود لهينك) = عن لسان الحق.

إن الله يعين من يقوم للعمل ويذل من يتقاعس عن العمل.

حرف الكاف (ك)

•(الكمال لله) = عندما ينتقد عمل فرد في بعض نواحيه يدافع عنه بهذا المثل.

•(الكريم حبيب الله والبخيل عدو الله) =

•(إن كنت على بحر لا تسرف) = الدعوة لعدم الإسراف.

•(كلو من مال الله) = للدعوة إلى العطاء للفقراء والمحتاجين.

•(كل الناس خلقت الله) = المساواة بين الناس.

•(كل الناس خير وبركي) = الخير موجود في الجميع من أمثال المجاملة.

•(اللي بيكب النعمي الله بينحسو) = للتحذير من التبذير والإتلاف والهدر بدون مبرر.

•(كن مع الله ولا تبالي) = للتمسك بالحق والصدق والصالح العام.

•(كول بالدين ولا تشتغل يوم التنين) = يوم الإثنين عطلة الحلاقين.

•(لا تتكبر الله أكبر) = الدعوة إلى التواضع.

•(كب الشربي على تما بتطلع البنت لأما) =

•(الكريم مرزوق) = الدعوة إلى الكرم وهذا يشبه المثل القائل (اصريف ما في الجيب يأتيك ما في الغيب).

•(الكريم وجهو أبيض) = من الطبيعي أن يكون ذلك فهو يرضي النفوس ويوجد المحبة ويثبتها.

•(كفى المرء نبلاً أن تعد معايبه) = الإنسان غير منزه عن العبوس ولكن الأقل عيوباً هو الأفضل.

•(كن ذكورا إذا كنت كذوبا) = والأفضل أن يكون صادقاً.

- (إذا كان الكذب ينجي فالصدق أنجى) =
- (كذب ينفع ولا صدق يضر) = وأظن أن المقصود بالكذب الذي نرتكبه في سبيل إصلاح البين.
- (الكذب مالو آخرا) = وهذا صحيح فهو يؤدي إلى سوء العلاقات.
- (الكذب لايغدي ولا يعشي) = والكذب لايفيد البتة ولا يغني.
- (الكبير في البيت بركي) = لاحترام كبار السن وتحمل إقامتهم.
- (اللي مالو كبير يشتري لو كبير) = لاحترام كبار السن وتحمل إقامتهم.
- (الله يكبرنا قدر وقيمي) = يقوله كبار السن شكراً وتقرباً من الله تعالى.
- (كل واحد يقول نفسي إلا محمد يقول أمتي) =
- (كبر مقتاً عند الله أن تقولوا مالا تفعلون) = من الآية ق.ك. موجود على رمز مؤسسة الإنشاءات العسكرية.
- (كل واحد هوي وذمتو) =
- (إذا كان الكلام من فضا فالسكوت من دهب) = وهل هذا ضروري دوماً؟.
- (ياللي الكلام مايأثر فيه ضرب السيف أولى فيه) =
- (كن مع الله ولا تبالي، أو كن مع الحق ولا تبالي) =
- (ماكل من قلك مرحبا صار صاحبك) = الدعوة إلى الحذر ومناقشة الأمور من قبل الشخص قبل إعطاء ثقته.

حرف اللام (ل)

•(اللقمي اللي بتمو مانا إلو) = نهاية وصف الكرم والغيرية وهي من القيم الإنسانية الأخلاقية البناءة.

•(لاقيلي ولا تطعميني) = من الحديث الشريف لاتحقرنّ من المعروف شيئاً، ولو أن تلقى أخاك بوجه طلق أخرجه مسلم عن أبي ذر الغفاري.

•(لبس العيار الأسود) = من بعض القيم السائدة في اللباس.

•(من لانت كلمتو وجبت محبتو) = مأخوذة على الأغلب عن علي بن أبي طالب (كرم الله وجهه).

•(ليس علمريض حرج) = يقال للتخفيف مما يصدر عن المريض من كلام ولا يقصده لو كان صحيح الجسم.

•(على لساني ولا تنساني) = من الحديث الشريف.

•(لا، بلا، الله يجيرنا من كلمة بلا) = يقال للتخفيف من كلمة (لا) يقولها شخص نحبه.

•(لولا الأمل بطل العمل) = يقال للشخص الساخط على الحياة من كل جوانبها.

حرف الميم (م)

•(المرا الصالحا كنز لجوزا وولادا) = يقال لمدح الزوجة الصالحة أو لحض الزوجة على العمل الصالح.

•(المرا بنص عقل. ماكلن) = لم يعد المثل مقبولاً في وقتنا الحاضر.

•(اللي مالو كبير يحط عندو كبير) = لتقدير الإنسان الكبير السن.

•(من اجتهد وأصاب فله أجران ومن اجتهد وأخطأ فله أجر واحد) = للحث على الإجتهاد.

•(من جد وجد ومن زرع حصد) = من الأمثال الفصيحة.

•(المال فدا الأبدان) = عند الخسارة المادية أو أثناء العلاج الجسماني والمداواة وسداد الثمن.

•(المؤمن مبتلي) = عندماتبتلى بالمشاكل - على الإنسان يذكر هذا المثل للتخفيف عنه.

•(الملك لله) =

•(ميت قلبي ولا غلبي) = من القيم الأنانية السلبية.

•(مال الحلال بروح ومال الحرام بروح مع أهلو) = من الحديث الشريف للحض على الربح الحلال والعمل المثمر الصادق.

•(مال الحرام مالو آخرا) = التأكيد على المثل السابق.

•(المبذر شيطان رجيم) = للتكريه بالتبذير.

•(المرا ضلع قاصر) = للتحبيب بالمرأة ومعاملتها بالحسنى.

•(الله مبارك بالمرا الحلطا والرجال المشعراني) = المرأة الحلطا هنا الناعمة الخالية من الشعر في وجهها وجسمها والحديث الشزيف يقول (لعن ا لله النساء المتشبهات بالرجال).

•(الملح يبين مع المليح) =

•(الميت ما بتجوز علاي إلا الرحمي) = يؤتى بالمثال للعفو عن الماضي وللتقيد بالحديث ="أذكروا حسنات موتاكم".

•(إن مال الزمان ميل معو) = لاتباع أسلوب المرونة في معالجة قضايا الحياة، أو للبحث عن المصالح الخاصة للفرد.

•(مشي بجنازي ولا تمشي بجازي) = والقضية معروفة فمهما حصل الإتفاق مع الزوجين فلا بد من اختلافهما أحياناً فيذكر بالزوجين بسوء.

•(معلم الصبيان ما بتقبل شهادتو) = كان يقال قديماً أن معلم الصبيان يعلم القرآن بأجر وأما الآن فيقال دعابة وللمعلمة والمعلم احترامهما.

•(المنيح ما بيبين معو) = يقال عمن ينكر الجميل أو أنه لافرق بين أعمال الناس المعادية والحسنة.

•(المنيح والقبيح عندو بفرد شكل) = عن الذي لاينتبه إلى أعمال الناس.

•(ما بذلا لمخلوق) =

حرف النون (ن)

•(النصيحا كانت بجمل) = يقال للشخص لاينتبه إلى النصيحة ويهملها.

•(النصيحا كانت منيحا صارت عداوي) = كيف تتحول النصيحة إلى عداوة عندما لايأخذ الشخص بها.

•(نار القريب ولا جنت الغريب) = لتمتين الصلة بين الأقارب.

•(الناس مع الواقف) = وهل يقفون مع النائم والجالس؟. وهنا الوقوف يعني القوة.

•(الناس عند أقوالا) = أي الذين يتمسكون بوعودهم وعهودهم.

•(النار ولا العار) =

•(اللي ما بيستحي من الناس مانو من الناس) =

•(نيال فاعل الخير عند الله) = الدعوة لعمل الخير ونوال الثواب عند الله.

•(لاتنها عن خلق وتأتي مثله) = مثل الشطر الأول من البيت:

لاتنهى عن خلق وتأتي مثله عار عليك إذ فعلت عظيم.

•(الناس على دين ملوكا) = مجاراة الناس للحكام وأولي الأمر.

•(لاتتندم على ما فات) = تعذيب النفس شيء عقيم لانفع منه ولا فائدة.

•(الله ينجينا من الحريق والغريق والموتى في الطريق) = والثلاثة من أصعب الأمور على أهل البيت.

•(النبي هاجر وما فاجر) =

حرف الهاء (هـ)

•(هم الفلس ووجع الدرس ما بينحملو) = والفلس الدراهم - الدرس هنا=الضرس والأسنان عامة والمعنى أن ألم الأسنان وهم المال شيئان صعبان.

•(هين مالك ولا تهين حالك) = التضحية بالمال ولا إهانة النفس.

•(هين فلسك ولا تهين نفسك) = نفس المعنى السابق.

•(اللي يهين مالو يكرم حالو) = الدعوة إلى الكرم والعطاء.

•(من هانك هينو ولو أبو زيد خالو) = الثأر للكرامة مع أي إنسان.

حرف الواو (و)

•(وعد الحر دين عليه) = أكدت القيم الأخلاقية على الوفاء بالوعد.

•(الوعد غالي والأماني أغلى) = ربط بين القيم الأخلاقية في الوفاء بالعهد وبالأمانة.

•(الوعد صعب والأماني أصعب) = للتأكيد على القيم الأخلاقية في العهود والأمانة.

•(ولاد الحلال قلال) =

•(الولد اللي مانو ابنك كل ما جن فرحلو) = هذا المثل نادر في القيم الأخلاقية إذ أن جلها يدعو إلى الخير والإيجابية.

•(الوطن قتال) = التأكيد الأخلاقي على محبة الوطن.

•(واحد بيقسم والتاني بيختار) = قاعدة إجتماعية إقتصادية تخفف من الإختلاف.

•(الواحد لازم ينطر قفاه) = أي عليه أن لايقوم بأي عمل صعب ينتقد عليه في غيبته.

•(ولد الشؤم بورت لأهلو المسبي) = لحض صغار السن الذين يجنحون عن طريق الخير إلى العودة إلى صوابهم.

حرف الياء (ي)

•(يارايح كثر ملايح) = يقال عن الشخص لايتقيد بالمثل العليا وبالوقت نفسه يحث السامع على اتباعها.

• (يد الله مع الجماعة) = التأكد الأخلاقي والتربوي على التعاون الجماعي بما فيه خير للجميع.

• (يوم الجمعا بتتخاطفو الملايكي) = التأكيد على أهمية يوم الجمعة.

• (يوم الجمعا فيه الملايكي مجتمعا) =

• (يوم إلك ويوم عليك) = تبدل حال الإنسان من خير إلى ضيق أو من ضيق إلى خير والمقصود أن يتقبل الإنسان الحياة بحلوها ومرها.

الأمثال الشامية المراجع والمصادر

القرآن الكريم

أحاديث المصطفى العماد مصطفى طلاس عام ١٩٨٤.

الأمثال الشعبية الحلبية يوسف قوشقجي حلب ١٩٧٧م.

الأمثال الشعبية اللبنانية د. أميل يعقوب دار جروس ١٩٨٤م.

ندوة حمص وزارة الثقافة ١٩٨٤م.

أمثال وتعابير من السويداء سلامة عبيد وزارة الثقافة ١٩٨٥م.

الأمثال الشعبية ودلالاتها الشاعر الأديب قصي أتاسي العروبة ١٩٨٠م.

قصاصات أمثال وجولات ميدانية ١٩٨٠-١٩٨٧م.

البراهين الحسية على تقارب السريانية والعربية بطريارك انطاكية جونية ١٩٦٩م.

الباب الثالث

النهج التربوي المقترح

والذي يمثله أستاذنا الجليل المربي راغب الجمالي ١٣٠٢-١٣٨٦هـ

١٨٨٤-١٩٦٥م.



النهج التربوي المقترح

الجمالي ومنهج التربوي

أولى صفاته البارزة في حقل التربية والتعليم هي إيمانه المنقطع النظير بأهمية التعليم والتربية في رقي الأمم وتقدمها وسؤددها. وهذا الرقي يبدأ بالأفراد والأطفال الذين هم عماد الأمة وأسس نهضتها واستمرار وجودها، وينتهي بمجموع الأمة العربية حيث تنال مكانتها السامية بين الأمم الراقية في هذا الكون، وبمقدار ما نسرع في نشر أسس المعرفة والمدنية في نفوس الناشئين بقدر ما نسهم في تحقيق أمال أمتنا ذات التاريخ المليء بالأمجاد والطافح بالقيم الخيرة.

ثاني هذه الصفات هي حماسه اللامتناهي للتربية الحقة، وهذا الحماس ملأ عليه جوانحه، ووسع دائرة مجالاته الثقافية والمعرفية، وأمده بفيض متسع من الحيوية والنشاط والإندفاع، فما ترك منابع للفكر إلا وانتهل منها وما سنحت له فرصة الإطلاع على الجديد من الطرائق التربوية أو التجارب الفردية إلا وأخذ منها بنصيب، وإذا ما صادفته تحديات وقف اتجاهها فارساً مناضلاً منافحاً عن الحق والعدل والصواب، وإذا ما دخل في تيه من أفكار متداخلة لم يأل ولا يستريح فؤاده حتى يصل إلى الرأي الصحيح فيجهر فيه عن اقتناع وفهم.

ثالث هذه الصفات أمانته المطلقة ونظرته العلمية الواقعية في كل ما اعتقد وفي جميع ما انتهج، ولهذا فقد نال احترام نفسه وتقدير دخيلته وترسيخ ثقته بنفسه،

وحصل على احترام منافسيه وتقدير محبيه، فركن إليه الكل ينهلون من حديثه العذب ومن فكره الديناميكي المرن.

رابع هذه، ***لصفات ثقته المطلقة بالقيم والأعراف الأخلاقية سلوكاً وهدفاً*** في كل معاملاته التربوية والتعليمية، وفي إعداد الطفل بالمستقبل وفي استمرارية وجوده، وكان يؤكد على أنه بمقدار ما تتحسن الوسيلة وتخلو من كل درن نصل إلى مجتمع عارف بحق أفراده وواجباتهم ضمن الأخلاق التي كانت لنا درعاً واقياً في كل حدث مضى وكل مكروه حصل.

ربط القيم الأخلاقية بالتربية من أسمى أعمال المربي الذي يقع عليه العبء الأكبر في تحقيق أهداف التربية وفي رفع شأن الأمة عامة، والتربية الوطنية عنده أن الوطن قوي ومهاب الجانب بكل أفراده لابعض أفراده، وذلك ضمن مبدا تكافؤ الفرص للجميع والمساواة بين الجميع وإحقاق العدالة للجميع وأكد أن مبدأ المساواة ورفع شأن الأمة مرتبط بأن تسود علاقات في المجتمع لحمتها وسداها الأعراف والقيم الأخلاقية الرفيعة، وتلك لها الصدارة في إيمانها العميق بها ويختتم دائرة هذا الإيمان بالطفل خاصة الذي هو محور العملية التربية الأساسي.

إنه يؤمن بأهمية الطفل (الإنسان) الذي يربيه ويعلمه ويتعامل معه، ولا يركن إلى الفكرة القائلة أن الطفل ناقص الإدراك أو متوسط المحاكمة أو هو محدود الإستيعاب ضمن سنه وعمره العقلي، بل ينظر إليه باعتباره إنساناً كاملاً له أحاسيسه ومشاعره وعواطفه، وأن إدراكاته وتفاعلاته النفسية تنمو باستمرار ةلذا فهو أهل للثقة، وهو مكمن للتقدم والإزدهار وهو بالتالي مصدر للإطمئنان وحمل الأمانة مستقبلاً. ومن هذه المنطلقات اعتبرت التربية مركز دوائر متسعة متتالية يتألف محيطها الأولى من ثلاث أقواس متصلة، ***الطفل والمربي وأهداف التربية***، تليها

دائرة أكثر اتساعاً تمثل ازدهار الأمة وتقدمها وسؤددها، تليها دائرة ثالثة تمثل العيش الحر اللائق لكل أفراد الشعب.

أهداف التربية

أولاً: التأكيد على تعلم أصول اللغة العربية قـراءة وكتابـة لاستقبال أفكـار الآخرين ونقل أفكارنا إليهم للتفاهم العام واستمرار وجود المجتمع العربي، ونرى أن نقبل على ذلك بروابط المحبة وبالشغف بالتعليم، وهل هناك أقدس من الكلمـة مميزاً إنسانياً يسمو بالبشرية على مختلف الكائنـات ويرتفـع بالإنسـان إلى مسـتوى المقدسات. وهذا يقتضي من كل فرد أن يرسخ في ذهنه الفخـر بلغتـه وسـبر فنونهـا من قواعد ونحو وصرف، وأن يطلع على مافي اللغة من الشعر والنثر في كل العصـور التارخيـة، وأن يتمكـن مـن الأسـاليب الأدبيـة المختلفـة وأنـواع البلاغـة والبديـع والعروض، ويرى الشيخ العلامة أن يتم هذا بتناغم وتناسـق مسـتمرين، ولا عجـب أن عشقه للغته وأدابها جعل من طلابه طلائع نصر في معارك المنافسات العلمية على من يفوقهم عمراً وثقافة وتجربة.

واللغة في ذهن علامتنا توصل إلى تحقيق أهداف التربية الأخرى، بل هي أسـها ومنطلقها تتصل بها وترفدها وتعين على نقائها وتوضيحها وتثبيتها في ذهن المتعلـم. وبقدر ثقافة المتعلم اللغوية يسهل عليه التعرف على بقيـة أهـداف التربيـة، ويحـدث الترابط بينها ككل موحد يواكب الفرد ونشاطه، ويجعله مفيداً وعاملاً إيجابياً لنفسـه ومجتمعه.

ثانيا: انتهاج القيم والأعراف الأخلاقية الإنسـانية وخاصـة منهـا النابعـة مـن أصالتنا وحضارتنا الزاهية، فهو يجـزم بـأن العلـم لوحـده عـاجز عـن تنسـيق علائـق المجتمع وتنظيمها واستمرارها ودوام جريانها بما يتطلبها العيش اللائق للنـاس، ويـرى

أن القوانين العامة الخارجية لوحدها لاتكفي بل لابد لها من دعم داخلي يتمثل بالضمير الحي والشعور بالواجب تجاه الآخرين. يأمل علامتنا أن تسود المساواة والتعاون ومبادئ الحق والعدل وكل ما جاءت به الرسالات السماوية وأفكار المثاليين من عظماء البشر.

إنه يعتقد أن كثير من العادات تتبدل وفق المتغيرات الاقتصادية والاجتماعية والحضارية عامة. أما القيم كالصدق والعدل والحق وغيرها من قيم لامجال لتعدادها، فهي ثابتة راسخة ويجب أن تستمر، فبإستمرارها استمرار لوجودنا.

لقد تعرضت الأمة العربية في تاريخها الحافل بالأحداث لأخطار داخلية تمثلت بالنزاع بين الأهل تمثلت بالتجزئة والإنقسام، وتعرضت لأخطار خارجية نمتها أطماع الغزاة من مغول وصليبيين، وساعد عليها إختلاف المختلفين وطمع الطامعين.

إن جزءاً قليلاً من هذه الأخطار لو تعرض لها أي شعب لانقرض منذ زمن طويل، لكن أمتنا تمسكت بقيمها وتشبثت بمبادئها، فأنقذها هذا من الهلاك، وأراد الله أن تستمر في الوجود لترسخ مبادئ الحرية والوحدة والنماء في هذا العالم.

العلم والنظام والرقي لاتتدعم ولا تسود الإلفة بين أفراد الشعب بدون قيم راسخة تزين الوجود وتشعر الإنسان بالإطمئنان والثقة بأخيه الإنسان.

لذلك كان الشيخ لايني لحظة دون أن يرسخ القيم الخيرة في نفوس طلابه وأقاربه ومحبيه معتمداً ذلك النصيحة المباشرة والقصص الرمزية الأسطورية، وأهم من ذلك كان يعتمد على وقائع التاريخ العربي الذي يزخر بالأمثلة الإنسانية التي تصلح في كل مكان وزمان.

إن القيم عنده ليست معان جميلة وألفاظاً منمقة، ونصائح فحسب بل هي تطبيق دائم يقوم فيه كل فرد، ولذا كان يتمثل هذه القيم في علاقاته مع الجميع، فهو يدعو إلى إحترام حقوق الآخرين ومعاونتهم على ويؤمن بتساوي الفرص وتكافئها وأن كل فرد يجب أن يحيا الحياة السعيدة التي أرادها الله له والتي تصبو لها نفسه بالعمل الجاد والتعاون البناء وليس بالكسل والحسد والتباغض.

ثالثاً: الإعتزاز بالقومية العربية وبالفخر بكل جزء من الأوطان العربية، وهذا الاعتزاز وهذا الفخر لاينسيانه أن للقوميات الأخرى مزايا وحسنات، وأن على الجميع العيش بسلام ومحبة وتعاون ومساواة. والإعتزاز بالقومية عنده إعتزاز باللغة وبالتاريخ العربي المجيد، وبالمثل العربية الإنسانية، وبالأرض المعطاء وبالمعاني الروحية، وبسحر الشرق وروعته، وبموقع البلاد وما حباها الله من مميزات مناخية وأرزاق وأهمية مؤثرة في الحرب والسلم.

لم يكن يرى في القومية ماضياً أو فكرة راسخة فحسب بل يريدها متطورة متقدمة تأخذ بالمتغيرات التي تجابهها فتشجع على التعاون والابتكار والأخذ بكل أسباب الحضارة وتؤكد على المعاملة بالمثل. لايريد لقومه أن يكونوا عملاء لأحد، ولكنه لايريدهم ضالعين في ظلم الآخرين أو مستخفين بمنجزاتهم. وتأكيد ذلك يراه القارئ في ثنايا هذا الكتاب كائناً منصفاً بكل معاني القوة، متزوداً بالعلم والمعرفة متصفاً بكل معاني القيم والخير ونصرة العمل والعدل، وأن أهداف التربية كل مترابط يصعب تجزئته.

وعندما لامني لأنني نلت درجات في اللغة الفرنسية أكثر مما نلت في العربية في المرحلة الإبتدائية لم يكن يقصد أن أهمل اللغة الأجنبية، بل يود لي أن أزيد اهتمامي بلغة بلادي منذ الصغر، وهذا منطقي وتربوي صحيح. فلقد كان ذا أفق واسع

ورأي مستنير فلم يكن يضيق إلا بضيقي الأفق، وإنه يريد قومية عربية متسامحة وهي في رأيه جبلت على ذلك.

رابعاً: تقدير العمل المنظم المعتمد على التفكير والإجتهاد.

إن العمل العشوائي قد يؤدي إلى نتائج سيئة في أغلب الحالات، ولذا أكد الشيخ على العمل الذي يسبقه تفكير وتخطيط والتعرف على الأساليب المؤدية إلى إنجاحه على الشكل اللائق، وبالجهد المناسب وانتقاء الوسائل الحديثة، وإجراء الحسابات والمخططات المناسبة للعمل، وأن يسبق ذلك تجارب لانتقاء الخطأ أو الجهد الزائد، وأن يكون العمل ذا مردود ويكافئ الجهد الذي يبذل فيه والأعمال بخواتمها ونتائجها ﴿وقل اعملوا فسوف يرى ا لله عملكم...﴾.

ويعتبر العمل صفة إنسانية وحضارية ولذا يجب أن يلقى التقديس والاحترام فكلما تنوعت أشكال العمل في أمة دل ذلك على إيغالها في ميدان الاكتشاف والاختراع، وبقدر زيادة ناتج العمل كماً وكيفاً يكون رقي الأمم، ويجب أن يرفد العمل اليدوي عمل فكري وتجارب علمية، وأن يسري تعليم أسرار بعض الصناعات بين أبناء الجيل الجديد، لا أن تموت بموت صاحبها. وأكره شيء إلى قلب الشيخ من صاحب صنعة يمنع سرها عن أهله ويحجب خفاياها عن بني قومه.

ومن هذا المنطلق نرى الطالب يعمل في مدرسته ليتدرب على الأعمال البسيطة من تجارب عملية بسيطة ومنظمة تقوده إلى أعمال أكثر جدية في مستقبل حياته. ونرى العامل يعمل في مصنعه أو معمله لحساب مؤسسة أو شركة أو فرد عليه أن يتقن عمله.

ونزيد في ذلك أن البائع يعمل في دكانه فيجب عليه أن يحسن ما ينتقي من بضاعة ويتبع الأسلوب العملي في إضافة الأرباح القانونية.

وتطول سلسلة العمل والعاملين كالتاجر والمحامي والمعلم والموظف والجندي وعامل التنظيفات والخباز وربة البيت، كل هؤلاء من الناس لهم أن يحبوا مهنهم ويحترموا مهن غيرهم وأعمال الآخرين، فبالعمل يستمر سريان الحياة في شرايين المجتمعات الإنسانية.

ويضاف إلى هذا كله على كل من يعمل أو يشرف على من يعمل أو يستغل ما يملك في ميدان العمل، أن يحرص على إنجاح العمل ومساعدة الآخرين لإثراء الخبرة الفنية والعملية باتباع أحدث الأساليب العملية والابتكارات والاكتشافات الهادفة إلى تحسين السلعة وتخفيف السعر واستبعاد الأساليب المجهدة للعامل وتشجيع ومكافأة من يبتكر الأساليب النافعة للإنتاج أو لحماية العاملين وتأمين سلامتهم.

خامساً: الإعداد للحياة: كطريقة لكسب العيش وتحسين مستوى الحياة والدخول بسلام في خضم الحياة الإحتماعية، وعدم الخشية من المستقبل المجهول. وعدم الفصل بين الطفولة والمدرسة والحياة، بل اعتبار المرحلة المدرسية جسراً ومكان تجريب في آن واحد موصل للحياة العملية. إنه ينظر إلى المدرسة ليس كمكان لتلقي العلم وحشو الذهن بالمعارف والمعلومات. بل يراها مكان تجربة واختبار وتمرين وتدريب على الحياة الواسعة خارج المدرسة ففيها يعايش الطلاب بعضهم البعض يتلقون ما يفيدهم في مستقبل حياتهم.

وفي المدرسة قد ينقد الطلاب الطرق السائدة خارج المدرسة عن طريق إطلاعهم على طرق أفضل في بعض المجتمعات الأخرى، أو يتدربون على الأمور والأعمال المستقبلية السائدة في مجتمعهم. يتصرفون عن طريق المقارنة بين المهن والوظائف الكائنة في محيطهم العام. وقد تذكر لهم أعمال ووظائف أخرى تكون موافقة لأهوائهم ومقدراتهم. وكم كان الشيخ يجري مقارنة بين الأعمال، وأن كلاً

منها له أهميته وفائدته في استمرار وجود الحياة. وأن على المرء أن يعد نفسه لعمل ترضاه نفسه ويتوافق مع إمكاناته، ويكون الإعداد للحياة حسب هذا المفهوم، أن يحترم الإنسان العمل ثم ينتقي لمستقبل أيامه العمل الذي يناسبه ويعقب ذلك أن يتفهم طبيعة هذا العمل ويعد له العدة للنجاح فيه عن طريق معرفة خفاياه والتدرب على هذا المنوال يكون: بالإستفسار، والمشاهدة، والمقارنة مع بقية المهن. والإعداد للحياة يعني أن الإنسان قد يصادف المتاعب أو الصعوبات فلا ينكص على عقبيه بل عليه الاستمرار والتغلب عما يصادفه من عقبات وذلك بالعمل الدؤوب، وبمحبة هذا العمل والإقتناع به، وبالتعاون مع الآخرين في سبيل إنجاحه.

والإعداد للحياة يعني أن يعامل الفرد الآخرين بمنطق التفاهم والمحبة والتعاون وإذا ما وقع سوء تفاهم بين الأفراد فيجب عليهم تحري نقاط الخلاف والصبر ومن ثم عدم التمسك بالخطأ، لأن سريان الخطأ يؤدي إلى تدهور الحياة وتخلف المجتمعات، وإذا تأكد للفرد وجود خطأ من قبله فعليه الإعتذار، وإذا وجد من غيره فعليه التمسك بفضيلة التسامح، وهذا في رأيه فضيلة في دعائم الإعداد للحياة.

سادساً: الأخذ بالعلم والإبتكارات الجديدة وبالمخترعات المفيدة. وبالمستحدثات بعد التأكد من جدواها. إذ أن الاستمرار على حال واحدة في الأعمال وطرق التفكير يؤدي إلى تخلف الركب عن الآخرين، وسنة الحياة تأبى التوقف، والنجاح صنوانه الحركة الدائمة والتفكير المستمر.

ولا يعني هذا أن نأخذ بالمبتكرات الجديدة بدون روية ولا تجربة ولا تفكير بل يجب معالجة الأمور ومعرفة قيمة هذه الإبتكارات ومدى فائدتها، والإقتناع بجدواها.

لقد أدخل الخديوي إسماعيل إلى مصر مستحدثات تقدمية رائعة في حقل الري والزراعة والمواصلات، وصرف من أجلها مبالغ طائلة، وقد سبق بذلك دولاً كثيرة في إجراء التحديث في بلده، ولكن تلك الآلات بقيت جامدة وغير مستعملة، لأنه لم تهيأ الأذهان لجدوى استعمالها، و لم يعرف العاملون بجدواها. وهكذا صارت عبئاً ونقمة بدل أن تكون نعمة ورضاء...

إذ ليس من المهم الإقتناع بجدوى الإختراعات وطريقة استعمالاتها، بل تطويعها لما فيه فائدة المجتمع في شتى المجالات الإقتصادية والمعيشية وتسهيل العمل لاتعقيده، وإن هذا التطويع يعني الإستفادة الكلية من هذه الإبتكارات، من البيئة التي وجدت بها. فما جدوى آلة لاستخراج القواقع بطريقة مبتكرة إذا كان السكان هنا لايألفون هذا، وما جدوى آلة لكسر البندق إذا كانت تلك المادة لاتزرع في بلادنا. ولكن إذا وجد اختراعاً قد نبدل فيه قليلاً فيصبح مناسباً لمعيشتنا وأساليب حياتنا فلا بأس به، وتطويع الآلة من كل هذا تعني معرفة أهميتها وطرق تركيبها وصناعتها وشمولية استعمالها وفائدة كل هذا في التوفير والراحة.

إن الاقتناع بالمبتكرات وفائدتها وتطويعها لا يكفي، بل علينا من هذا المنطلق تقليد صناعتها بأي طريق وبأية وسيلة، وقد نتعثر بإعادة صناعتها وقد تأتي صورة سيئة عن الاصل، ولكن بإعادة التجربة والعمل نصل إلى إتقان تلك الآلة. والمهم أن نبدأ بالبسيط من الأمور حتى الوصول إلى التقليد المتقن، ولا يجد الشيخ غضاضة في ذلك فاليابان بدات متأخرة عن مصر باستعمال الآلات لكن مصر توقفت وتجمدت وتخلفت في استعمال الآلة، بينما اليابان ثابرت وتألقت وتابعت وقلدت لكنها ارتقت وسبقت غيرها.

إن الحرص على التقليد المتقن لايعني الوقوف عند حد معين، بل يجب إعادة المسوغات المناسبة للتقدم والتعديل في استعمال الآلة وحسن صناعتها جزئياً أو كلياً، وعندما ندخل في هذا الميدان سوف تحترمنا الدول المتقدمة وتضع لنا شيئاً من اعتبارها، كأن تجري مبادلات علمية في ميدان الابتكارات، لأن المعرفة لدى شعب ما يعني قوة والقوم في زمننا ليست في الأمور العسكرية فحسب، بل كل مجالات الحياة، فعندما نصل إلى الإبداع في ناحية ما سيكون لنا وزن دولي عند ذاك.

ولا عيب علينا إن صنعنا دبوساً أو إبرة بسيطة، ولكن العيب الأكبر أن نقف جامدين متحسرين مفتخرين بالماضي دون أن نعيد هذا الماضي مستقبلاً مشرقاً وضاءً.

سابعاً: النظام ونعني به تقدماً وازدهاراً وسلاماً وعيشاً رغداً وغداً أكثر اطمئناناً. فبسيادة النظام في أي مجتمع أو دولة أو مجموعة دول يسود التفاهم بين الناس ويعم الخير وتتدعم المساواة وتكافؤ الفرص وتثبيت الحقوق. وترقى العدالة إلى أعلى المستويات بشرط الاقتناع التام الباطني وليس الظاهري بسيادة النظام العام، والنظام تثبت أركانه وتقوى جذوره ويشتد عوده إذا عُود عليه المرء منذ نعومة أظفاره في المدرسة والبيت والأسرة.

والنظام الكوني أبدي فعال وسرمدي في تسيير نمط الحياة وبهذا النظام تستمر الحياة إلى ماشاء الله، وأي تبديل فيه يؤدي إلى تغييرات لاتستطيع البشرية مجتمعة إلا أن تقف مكتوفة الأيدي مسلوبة الإرادة أمام هذه التغييرات. فباستمرار النظام تبقى الحياة وباستمراره تسود الطمأنينة. واستمرار النظام الكوني مثال لنا يجب أن نحتذيه ونغذي أفئدتنا وأفكارنا به، وأنه يجب أن يكون رائدنا في هذه الحياة. والنظام

والفوضى والشر لايلتقيان، ولا نستطيع تشبيههما بالليل والنهار، لأن هذين من أنظمة الكون وكلاهما نافع مفيد ﴿وجعلنا الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصراً...﴾.

فالنظام إذا كان يعني السير على وتائر مفيدة وناجعة للبشرية في تقدمها وازدهارها وتعاونها ضد الأوبئة والجوائح وسيرها في الأسلوب الأفضل للحياة وعمار هذا الكون، فإن الفوضى والعشوائية مهلكتان للحرث والنسل وتفتح مجالات للأطماع الفردية والجماعية والغرور وهدم القيم ودك المنشآت وهتك الفضيلة والخير والجمال. فبقدر ما يبني النظام بقدر ما تهد الفوضى ولاتبقي ولاتذر.

فما استطاع فرد ولا جماعة تحقيق أي هدف بلا نظام وترتيب.

وليس النظام جموداً أو تقهقراً، بل تقدماً مستمراً وثباتاً على مافيه الخير العام، وإذا وجدت أمور لاتسير السير الصحيح أو انحرفت عن مساراتها، قومها المنظرون من المنظمين الدقيقي النظر.

ومن هذا المنطلق فليس النظام الرجوع بل هو التقدم لما فيه الخير للبشرية عامة.

والنظام بحده الأدنى لايفيد إلا جماعة واحدة. فالتنظيم الذي اتبعه المغول والتتار بقيادة جنكيز خان في تأليف جيوشهم وطريقة حربها وتدمير أعدائها -خاصة ما حاق بالحضارة العربية والإسلامية وجوانب من أوربا منهم- لقد سوغ نظامهم الحربي بشكل أناني مفرط في الراديكالية جعل من نظمهم بلاءً وغضباً لأنها حرمت من إنسانيتها.

وقد قضي على دولتهم مبكراً كأنها الغضب الذي لايبقي ولايذر ثم يذهب إلى غير رجعة، فاحترف أهلها نظماً إسلامية هذبت مشاعر القوم ومثلهم.

وفي تاريخنا العربي شرف كبير للإنسانية فيما ابتدعه أجدادنا العرب من نظم للحرب والسلم لمعاملة أهل الحرب وأهل السلم بالعدل والمساواة في تنظيم العلاقات

الاجتماعية والاقتصادية والعسكرية والتسامح الفكري. مما جعل الأقوام المحررة تسرع إلى حظيرة الديمقراطية الإسلامية الحقيقية رغم اختلافها عن المسلمين عقيدة وقومية.

ولن نزيد ففي هذا المجال وحده قد نسطر مجلدات وافرة وقد سبقنا إلى ذلك مؤرخون أجانب وهذا حسبنا.

ولم تضعف قيمة الأمة العربية وتتعرض للهزات والضعف والإنزواء إلا عندما سادت الفوضى التي قهرت الإحترام وأذلت الحقوق وهزت مبادئ المساواة فأفسحت الباب واسعاً أمام أطماع الغزاة من المغول والصليبيين بعدما علموا أن نظام الدولة العربية أصيب في الصميم ولم يعد البوابة الحامية الساحقة أمام الأطماع.

وقد نفدت أسلحته من عدالة ومساواة وسماحة وحقوق مصانة، ولم تستطع الأمة العربية أن تتصدى للهول الأكبر الذي حاق بها من كل من الصليبيين والمغول إلا عندما استردت أنفاسها ورجعت إلى نظمها الدقيقة وقيمها الخيرة.

فمن أمثلة النظم الدقيقة الكثيرة نروي أن عماد الدين الزنكي مؤسس الدولة التي هزت عرش الغزاة الصليبيين كان يعاقب كل جندي من جنوده يدوس سنبلة قمح معتبراً ذلك خروجاً عن نظام التموين أو ما نسميه في عهدنا الأمن الغذائي، وبالمقابل كان ينزل العقاب الزاجر بمن يسيء إلى أهل هذا الجندي المناضل لاسترجاع الحق السليب.

وبنفس الأسلوب سار على تقديس النظام صلاح الدين الأيوبي الذي اتبع النظام في كل أمور الحرب والسلم فجاءت أفعاله عدلاً وسماحةً وتنظيماً وحنكة سياسية شملت الأعداء والأصدقاء على السواء.

حتى في معاركه يتأكد من كل خطوة يخطوها، وهو كما نعلم من خريجي المدرسة العمادية النورية الأيوبية،

ولم يجانبه التوفيق إلا عندما أهمل نظام الحكم فأعطى أولاده وأقاربه أجزاء من البلاد على غير نظام الوحدة والتآلف.

وفي العصور الحديثة لم تكن لتوجد دولة روسيا الكبرى لولا همة بطرس الأكبر الذي سير البلاد في أمورها الإقتصادية والإجتماعية والعسكرية والبحرية بنظم ثابتة استطاع أن يقهر بها دولاً عدة ويضاعف مساحة بلاده أضعافاً مضاعفة ويدخل فيها شعوباً وقبائل من أقوام وأديان مختلفة، ولا بد أن في نظمه نوع من العدالة جعلت تلك الأقوام تسكت على سيادة روسيا عليها.

والنظام لايكتمل إلا بكل جزئياته في الإجتماع والسياسة والحرب والإقتصاد وإجراء العدالة. ولا يكون النظام تاماً متماسكاً إلا في أشكاله الحالية وأموره المستقبلية، وعدم ترك الأمور المستجدة للقدر وحده فيما يروى أن نابليون عندما هيأ حملته إلى إنكلترا جهز سفنه وهيأ رجاله كل لما هو أهل له حتى الأوسمة والترفيعات وقعها ومهرها بخاتمه مباشرة ولذلك نرى في وثائق الخارجية الفرنسية القديمة مراسيم صادرة بتوقيع الإمبراطور نابليون بترفيع الضباط والجنرالات الفرنسيين الذين ساهموا في فتح إنكلترا!! مع العلم أن الحرب وغزو الجزيرة الإنكليزية عدل عنها في أخر لحظة. ولكن تنظيم الأمور جعل نفس الإمبراطور يجهز الحملة العلمية بنفس الجدية مع الحملة العسكرية التي غزت مصر. ومن هذا نجد أن النظام يجب أن تتسع دائرته ليشمل كل القطاعات وليكون جديراً بالإحترام والإقتداء به.

وما كانت الاكتشافات الجغرافية في أمريكا لتنجح لـولا النظـام الصـارم الـذي اتبع في تأمين هذه الحملات والإشراف عليهـا مـن قبـل قادتهـا علـى تـأمين الأمـور العلمية والتموينية والعسكرية والسلامة العامة حتـى أن بعـض قـادة هـذه الحمـلات كانوا يشرفون على تنظيم كل صغيرة وكبيرة فيهـا، حتـى نـوع المسـامير الفولاذيـة وطولها وسمكها ولمعانهـا. والنظـام لايحـدث بـين ليلـة وضحاهـا. ولا يتثبـت بمجـرد الطلب والتمني، بل لابد من إقناع ولابد مـن استمرار حتـى يؤتـي أكلـه في تثبيـت أركانـه في ذهـن الأفـراد واقتنـاعهم بـه بـالجد والاجتهـاد وطـول المعانـاة، فالنهضـة الأوربية لم تتم بـين ليلـة وضحاهـا، بـل احتـاج ذلـك مـن أهلهـا إلى مثـابرة وصـبر شديدين، إذ تحدثنا الوثائق التاريخية أن طـلاب الجامعـات الأوربيـة وخاصـة التابعـة للكنيسة الكاثوليكية. كان هؤلاء يدرسون يوميـاً زهـاء أربعـة عشـر سـاعة متواليـة وبشكل نظامي مستمر صارم، فأتت تلك النهضة مرسخة الأركـان متينـة الجوانـب على أسس متينة من النظام العام في طريقة تعاونهم وطريقة دراسـتهم ونـوع كتبهـم ومقاعدهم وراحتهم، وقد يعجب الفرد هل هناك أوربي ذكي وشرقي أقـل ذكـاءً. فنجيب لا بالتأكيد لا وألف لا... لكن القـوم هنـا صـبروا وفكـروا وعملـوا بنظـام وثبات فتفوقوا، ونحن عملنا ببرود وبدون نظام وبدون حماس وبدون استمرار فبقينـا نعيش على الأمجاد الغابرة.

فهل ياترى ننتبه ونعوض مافاتنا من أسس النظام .

يسـير القـوم في أوربـا وفي بعض أنحـاء العـالم علـى النظـام العـام ويحترمونـه ويقدرونه،حتى في نظام السير.

فلقد عبر سائق كنا نركـب بسيارته الرصيـف المنخفـض في مدينـه سويسـرية ليقتصد زمنا ودورانا لامبرر لهما، ففاجأته سـيدة استمرت في لومـه بلغتهـا الألمانيـة

وبالمظلة اللطيفة تضربه حتى استقر في الجهة الأخرى. ولذلك قد تفرض بعض الدول اتباع النظام في الطوابير وفي السير بالقوة كإطلاق الرصاص مثلاً على المخالف أو العقاب الصارم.

ولكن الشيخ يريد للنظام أن يثبت بالإقناع ومن وجود الطفل في المدرسة باتباع الأنظمة في كل أمورها، في الدخول والخروج وحتى في تنظيم اللعب في باحة المدرسة حتى لايؤذي الطلاب الكبار زملاءهم الصغار في غفلة من أمرهم. **وأول مقومات النظام عنده ارتباطه بالزمان** فنحاول أن نعود الطفل خارج المدرسة بتقسيم وقته بين لعبه وتسليته وجده وراحته ونومه، وأن يحرص على إقامة هذا يوماً بعد يوم فيكتسب عادة حميدة ويفيد منها في حياته المقبلة، ويسير في طريق التقدم والحضارة.

وفي 'الاضرابات، التي يقوم بها الطلاب يريدها منظمة ويؤمن لها عوامل نجاحها.

ثانياً: تعويد الطالب التفكير الحر المستمر في كل الأمور والأسئلة المستمرة التي تعتمد كلمات الإستفهام: متى؟ لماذا؟ من؟ كيف؟ اين؟ لم؟ أي شيء؟.

يقول الشيخ: يبقى الفكر ساكناً ما لم تحركه تحديات أو مقارنات أو مشابهات أو أسئلة. فقد يظهر في الميدان فارساً مغواراً متحركاً بعد أن كان هادئاً مستريحاً.

والتفكير عند الشيخ أن الطفل عندما يدرك المحسوسات ثم يتبعها بالمجردات فقد دخل ميدان العاطفة والتفكير متسلحاً بالذاكرة والذكاء والمحاكمة مستعيناً بالغرائز أو العادات التي اكتسبها عفوية أو تقليداً، وبمقدار ما نفتح له عقله بليونة وعاطفة صادقة والأخذ بيده ننجح في إبراز مواهب وإثبات وجوده وتبيان شخصيته.

وإنماء التفكير لدى الطفل يكون بالقصص الخيالية لتنمي ذهنه في الأمور الجميلة التي يتمنى تحقيقها وبقدر تنوع خياله قد ينجح في تحقيق آماله التي يحولها من الخيال غير الممكن إلى الواقع المادي الملموس، فيجد في ذلك لذة ويرى في تحقيق ماتمناه متعة، وقد يفيد بذلك بعض مواطنيه.

والتفكير عنده يريد أن يتسع دائرة سطحه لتشمل التفكير قي خلق السموات والأرض وما على الأرض من عوارضهاالطبيعيةومظاهرها المتبدلة من غيوم ومطر وبرد وثلج ويقارن ذلك بشكل مبسط في حياته العملية، ويريده في التفكير أن يستفيد من كل حواسه، سمعه ومشاهداته وملمس ما يرى ويصادف، والروائح التي تندس في خياشيمه، ومذاق ما يتسلل إلى فيه، وأن يستنشق ماوراء الحواس الخمس بالحدس والتخمين، وأن يتأكد من صدق حواسه لتكون إدراكاته خالية من الخداع، ويتبع ذلك بالتفريق بين أنواع هذه المدركات لتأتي محاكماته دقيقة صحيحة في العلوم العامة ويعقب كل هذا أن يفكر بما وراء الإحساسات وما وراء عالم الطبيعة المكتشف.

ولا يكتفي بمحاكماته الفكرية الأمور المادية بل يجري أفكاره في العلاقات الاحتماعية والعلوم الإنسانية تصنيفاً ومقارنة ونقداً وتثبيتاً. ومن المفيد دوماً أن يلقي الأسئلة، لَمَ؟ لماذا؟ متى؟ كيف؟ على نفسه وعلى غيره، فالسؤال باب كبير للمعرفة.

إن التفكير من هذا المنطلق ليس باباً للمعرفة بل هو منفتح للحكمة والفلسفة ومنطق الأمور وسيادة الحق وتمجيد للعدالة وإعجاب بهذا الكون غير المتناهي، وهي فوق كل هذا التمجيد للإنسان باني الحضارة المختلفة والذي طوع كل شيء من أجله بفكره الذي رزقه الله دون بقية المخلوقات.

وحسبي أن أنهي هذا بقول الشيخ "لاتعمل شيئاً بدون تفكير" فكر واحكم ثم أعزم وتوكل واعمل.

شخصية المعلم

لم يدون الشيخ أموراً معينة وشروطاً محددة يجب أن يتصف بها المعلم، بل تجد تلك الشروط والأمور في أعماله وتصرفاته في الصف والمدرسة والبيت والمجتمع، ظهرت متألقة واضحة لتدل على شخصية المعلم المتميزة بالسعة الفكرية والمكانة العالية. والإيجابية في دائرة فضاء رحبة لحمتها العلم والتربية وسداها القيم الأخلاقية والعطاء المستمر.

إن استمراره الطويل في أداء واجباته التربوية واعتزازه بهذه المهنة المقدسة ومن خلال مناقشاته وأحاديثه وما أثر في طلابه ومحبيه، وما أبدى من آراء وأفكار، تجسمت عملاً خيراً مستمراً نرى من خلالها شخصية المعلم التي يجب أن يتصف بجملة من الصفات والأعمال والعادات والقناعات:

أولها: أن عمل الإنسان الذي يتصدى لعملية التعليم، الاقتناع التام بها عن تجربة ورؤيا واضحة لأهدافها العظيمة ولمصاعبها. والإعتزاز بهذه المهنة، ومعرفة الجوانب المادية القليلة المردود فيها، وأن ينتفي عنصر الإضطرار أو الحاجة لدخول ميدانها. والإقتناع صنو الحب لهذه المهنة فما قيمة الإقتناع بدون محبة، وما قيمة المحبة بدون إقتناع. فالمعلم الناجح يحب طلابه ويحب مهنته ويحب نجاحاته ويجد متعة في كل جزئيات عمله، كم هو جميل للمرء أن يرى تأثيراته في أبناء وطنه.

أما إذا أدخل المعلم المهنة على غير إقتناع فتسوء حاله ويتردى عمله في إخفاقات مستمرة في مختلف جوانب حياته. وتكون أجمل فرصة له عندما يبدل عمله بعمل آخر تهواه نفسه.

ثانيها: أن الإقتناع بالمهنة يقتضي شرطاً آخر هو أن يهيء المعلم نفسه دوماً ليكون قدوة حسنة ومثالاً يحتذى، وأن يكون مقنعاً للآخرين لاتمثيلاً وإنما حقيقة واقعية.

فيعمل بوحي ضميره المتمثل في إفادة الطلاب الذين هم أمانة في عنقه، فيتمثل القيم الخيرة إتجاهاً وعملاً وباطناً فيبدو متفائلاً دوماً، صادقاً مع نفسه، وفياً لمبادئه، نشيطاً في عمله، نظيفاً في لفظه، عادلاً بين طلابه، مساوياً بينهم، محباً لمادته الدراسية، مفتخراً بها، مدخلاً حبه في قلوب طلابه، واقتناعهم به قبل اقتناعهم بدروسه. وقد قصت علي مدرسة انها اختصت بمادة الجغرافية لاعلى اقتناع بالمادة ولكن عن طريق اقتناعها بمدرستها الحبيبة. ويقول بعض المربين: نحن لانحب مادة الرياضيات، ولا مادة الفيزياء مباشرة بل نحب مدرس الرياضيات أو مدرس اللغة العربية وعن طريق محبتنا للمدرس نحب تلك المادة. وكثيراً ما ترك الطلاب كثيرون المدرسة لكرههم المعلم الموكل بهم.

ثالثها: الحماس وعدم التململ صفة ثالثة على المعلم الإتصاف بها، وهذه قد تكون صفة شخصية لصيقة فيه جُبِلَ عليها، ولكن بحسن الدراسة والتدبير والصبر قد يستطيع المعلم اكتسابها فتصبح شيئاً لازماً فيه، يستطيع المعلم من هذه الصفة أن يعمل الأعاجيب.

كم هو مفيد وجميل أن تشكر طالباً مهملاً استطاع أن يتقدم تقدماً بسيطاً؟ كم هو جدير بالإعجاب معلم صادق نقل إحساساته إلى طلابه؟! إن الكلمة الصادقة النابعة من القلب تؤثر في هذه النفوس البريئة من نفوس النشئ. إن المعلم الكفء هو الذي يجعلنا نكتشف عوامل الخيال، هو الذي يفتح لنا أبواب النجاح عن طريق الثقة بنا. ليس من عيب على الإنسان أن يخفق مرة أو مراراً، ولكن عيب

كبير أن لاينهض من وقعته. وفي ميادين عدة نرى الحماس المستند إلى حقائق قليلة يؤدي إلى نجاحات نستغرب حدوثها ومن هذا المنطلق نرى الحماس صنو الإيمان في أمور عدة لامبرر الآن لذكرها.

فالشيخ المعلم كان متحمساً دوماً لما فيه خير وطنه وطلابه ودروسه وأعماله. فتجد لكل ذلك منه طعماً حلواً وملمساً طيباً ورائحة تعبق بأريج الصدق والمحبة، وهذه الصفة هامة في المعلم، كل معلم وكل صاحب رأي أو عقيدة أو فلسفة.

رابعها: النشاط والحركة وهي تقابل الجمود والتخلف، فالمعلم الناجح هو الذي يعمل باستمرار وبحركة دائبة تحيي فيه صموده وتحيي فيه وجوده. ولا نقصد هنا بالحركة أن ينتقل المعلم باستمرار بالصف فحسب، بل نريد الحركة بمعناها الواسع التي هو صنو التطور وهي هنا حركة إلى الأفضل وليس إلى المراوحة في المكان الواحد. نعم إن حركة المعلم المستمرة وغير الهادفة قد تربك الطالب، وقد قال أحد المربين القليلي الكلام لمعلم متدرب حضر له درساً تجريبياً: لاتكن رقاص ساعة! وبعد عدة شهور حضر لنفس الطالب درساً آخر، فقدم المسكين درسه وهو واقف في مكانه في الصف لم يبرحه، فقال المربي متمماً جملته التي قالها منذ شهور: "ولا خشباً مسندة". والحركة والتطور يجب أن تشمل التدريب المستمر على التعلم والإطلاع على الحركة الفكرية سواء ما كان في حقل التعليم والتربية أو الأدب أو العلم. إن جمود المعلومات الواحدة في ذهن المعلم تؤدي به إلى التخلف والفراغ والطبيعة تأبى الفراغ. وعلى المعلم أن يثقف نفسه باستمرار وأن ننتقد هؤلاء الأوتوقراطيين الذين يريدون للمعلم أن لايدرس دراسة جامعية وهو في مهنة التعليم، وهذا خطأ فبقدر ما يبذل جهد في دراسته الجامعية ينعكس هذا عليه خيراً في تعليمه طلابه.

خامسها: المظهر اللائق. ولا نعني بذلك الترف في الملبس والمظهر بل الأناقة التي تستدعي اللون المناسب والزي المتناسب وأن يكون لبقاً في حديثه غير متسرع ويحاول أن يأتي بالأفعال المتزنة، وكل ذلك يخلق في الطلاب انطباعاً حسناً عن المعلم، ويغرس الثقة والإحساس بالإحترام في نفس المعلم.

ومهما قيل في ذم التأنق الزائد في الملابس فيبقى هناك حد معين يجب أن لايتناساه ولاة الأمور في تأمين الراتب المناسب للمعلم ليبدو بشكل مناسب في أعين التلاميذ.

إن ما يستدعي الإهتمام في مظهر المعلم أن أعين أربعين طالباً تتركز على المعلم في حركاته ورنة صوته وملابسه. إن الجزء البسيط من نثرة ورق على كتف معلم تتضخم في أعين الطلبة لتبدو منطاداً كبيراً، وعلى العكس من ذلك فإن الأناقة الزائدة في الملبس والتطرف فيه قد يعطي انطباعاً سيئاً للطلاب ويفصم العلاقة بينهم وبين المعلم.

وقد حدثني أحد أولياء الطلاب أن ابنته الصغيرة تخاف وتبكي من معلمة معينة تضع أصباغاً مبالغاً في تنوعها على وجهها وشناشل مزخرفة على ملابسها ومصاغاً متنوع الأشكال على جيدها ومعاصمها.

سادساً: الشجاعة الأدبية لدى المعلم شيء هام فلا يظهر أمام الطلاب بموقف المهتز الخائف فما يلم ببلادنا من أحداث فيجب عليه دائماً أن يغرس التفاؤل في نفوس الطلاب، وأنه إذا ظهرت سلبيات في بعض الأقطار العربية أو وقوع أجزاء منها كفلسطين تحت براثن الصهيونية، فعليه أن يذكرهم أنه لايوجد شيء يمنع الأمة العربية من أن تسترجع الحق السليب بالوحدة والعلم والشجاعة.

ونذكر ولا شك حادثة الشيخ عندما فاجأه المفتش الفرنسي في درسه فأظهر شجاعة ولباقة جعلت المفتش يثني على جرأته، ويحترم فيه دفاعه عن وطنه وفخره بالفاتحين العرب.

أهم شيء على المعلم اتباعه عدم تسريب اليأس إلى نفسية الطلاب، وإذا وجد من طالب يأساً من ناحية عائلية أو اجتماعية أو وطنية عليه إقناعه وبالتدريج وبالعلمية أن الأمور لاتسوء إلا عندما نتصدى لها بطريقة خاطئة، أو لانقوم بأية تضحية أو عمل لتقويم تلك الأمور.

سابعها: هو العمل التربوي المثمر والمحرك الحقيقي لاستمرار الفكر وهو الباني للأجيال.

شخصية الطفل

هو قطب الرضى والهدف الأسمى الذي تدور حوله التربية وأهدافها ورجالها وهو برعم الحاضر وغرسة الأيام ونبتة المستقبل الباسقة للأهل والمجتمع وللوطن. وبقدر ما نعنى بها وننميها تعطينا وترد إلينا أيادي بيضاء تتمثل جندياً شجاعاً وطبيباً بارعاً ومهندساً مبدعاً وفلاحاً نشيطاً وعاملاً ماهراً وموظفاً شريفاً ومعلماً. وهو الأمل للمستقبل والمدخر للأيام المقبلة، وهو الوجود المقبل والمجد والعلم واستمرار الحضارة.

وقد تجسدت هذه البديهيات في ذهن الشيخ عن الطفل وامتزجت في عاطفته ونسجت لها ثوباً منسقاً زاهي الألوان فملأت عليه كل أوقاته، وجميع سوانح فكره فرأى في الطفل فوق ما رأى غيره فيه من ذخيرة نبع حبة، متفتحة إنسانية، تتفجر أملاً في مستقبل مشرق لحمته وسداه العمل والخير والبقاء.

فأفسح كل هذا عواطف الشيخ وفكره واهتمامه لإنماء هذا الذخر المستقبلي مهيأً له كل وقته، وفتح له كل مكنونات عاطفته، وكل جوانب فكره وتجاربه ونصائحه وإرشاداته وما ملكت يداه، وأهم من هذا تعامل مع الطفل في أمور متميزة.

رأيه في الطفل

١)- **فقد آمن بالطفل وبإمكاناته** إيماناً منقطع النظير، رأى فيه نبعاً من عوامل الذكاء والمحاكمة، ونبعاً من العاطفة الصادقة ومصدراً للإلهام وذخراً لاينتهي من أجل التجاوب مع ما يلتقي من معارف وتجارب واكتشافات، وهو أهل الثقة، وبالمقابل وجد فيه نباتاً غضاً يجب المحافظة عليه وصونه من كل عبث، وإحاطته بالرعاية ليشب فتىً قوياً في فكره وجسمه، وليكون ماهراً في استعمال يديه وفكره فيما يعتبره مستقبلاً لنفسه ولمجتمعه، وأن كل إنقاص من قيمة الطفل او إقلال من أهميته يعتبر ذنباً في حق من يعتمد هذا الرأي أو يحوم حوله.

٢)- **رأى في الطفل كائناً بشرياً** متفتح الذهن ينمو ملكاته العقلية باستمرار و لم ينظر إليه ككائن ناقص الإدراك. نظر إليه كإنسان كامل يبثه لواعج نفسه مما حاق بالوطن من احتلال، يتحدث إليه عن القيم والإيمان با لله الخالق الأحد، يأتي له ببعض مبادئ المنطق البسيطة فهل يوجد شيء من لاشيء. وكان يبالغ احياناً في ذلك، فعندما يذكر لنا كلمات وألفاظاً أكبر منا أحياناً مثل الواجب والإنسجام والضمير ونحن طلاب الصف الأول كنا ندخرها إلى مستقبل الايام لنعرف كنهها ونرضي الشيخ في مستقبل الأيام.

٣)- **ولكن من جهة أخرى أدرك** بأن الطفل يحيط بكل أموره القريبة وأمور مجتمعه البعيدة. فكم اعتمد عليه وكلفه بأمور تخص الصف من ترتيب أونظافة أو

تغيير الهواء، وكم كلف طلاباً اعتمد عليهم وأعطاهم مالاً لشراء ما يلزم من هدايا وقصده من ذلك إثبات ان الطفل يستطيع أن يدبر أموره منفرداً أو متعاوناً مع غيره. وكم طلب من بعض التلاميذ أن يرشدوا زملاءهم الأقل خبرة في انتقاء السلعة الأفضل والسعر الأنسب، والتعامل مع البائع الموثوق بصدق معاملته وبشاشة قلبه.

٤)- **كان يقوم بالإعتماد على الطفل** والوثوق بأمانته وصدقه ووعوده، فكان يعامله ويحدثه كإنسان كفء، ومن أقوال للطلبة: هل تعدني؟ هل تصدقني؟ أيمكنك فعل هذا؟ ويبالغ بعض الطلاب قائلاً: بماذا تنصح؟ أو كيف ترى؟ أو في نتائج هذا كله أثبت طلابه مصداقية نظرته للأمور: فلم يخذلوه يوماً في عمل عام كلفهم به، أو درس طلب منهم إتقانه، أو تلعثموا أمام مفتش، أو تخلفوا عن موعد، أو غلبوا في مسابقة مع طلاب من غير صفهم، و لم يخرجوا أبداً عن المألوف في النظام والإنضباط، بادلوه ثقة بثقة، ومحبة بمحبة، وتعاوناً بتعاون.

٥)- **كانت مطاليبه لمصلحتهم كبيرة** وملحة ومستمرة، وكلها فيها ملامح لإعدادهم للحياة، ولكن مطاليبه كانت متفاوتة حسب قدرة كل منهم الجسدية والفكرية، فلم يكن يوحد في واجباتهم ووظائفهم المطلوبة منهم، هناك حد أدنى مشترك يمكن إشراك الجميع في عمله ليشعرهم بالمساواة، ولكنه يطلب ممن يجد فيه قدرة أكبر وإمكانية أكثر على العمل الأكبر.

٦)- **كل طفل يتجه لما هو أهل له أو لما أوجده الله** نه من مزايا وموروثات يختلف فيها طفل عن طفل، فلا يمكن أن نؤهل الطلاب كلهم إلى عمل واحد فهذا يتجه لإتمام الدراسة الطبية وآخر للأعمال التجارية أو المكتبية. وفي هذا المجال يكون عمل المدرسة والمعلم التبصير بالأمور التي تصادف الطالب بصدق وترنق لا بمحاولة التأثير عليه للنكوص على ما وطن نفسه عليه. وبتوضيح أكثر قد يظهر في طالب

ميل إلى الخط وفي آخر ميل للحفر على الخشب، فنحاول جهدنا بتقديم المساعدة له لانجاح ماهو مقدم عليه بالتدريب وإظهار مهارته بين زملائه ومعلميه وذويه قبل أن يتخرج إلى حياته المقبلة.

يحاول الكثير من المعلمين والمعلمات أن يثنوا الطالب على استعمال يده اليسرى في الكتابة والعمل. كان الشيخ ضد هذه الفكرة فلندع الطالب على سجيته في هذه الأمور التي ليس له قصد منها فلا نحاول قهره.

كما يجب أن لايجبره على عمل لايتلاءم مع نفسيته أو مع إمكاناته الجسمية.

٧)- **وأهم ماكان في نفس الشيخ عن الطفل** إيمانه أنه مجبول على خير وطيبة وليس على شر وبلية يجب معاقبته باستمرار ليتخلص من شروره، إنه يأبى أن ينظر إلى الطفل بمنظار أسود متشائم، فالطفل قد ينال ماليس له دون أن يعلم أن هذا يسمى سرقة، ويأتي بأقوال غير صحيحة دون أن يدري أن هذا كذب، وقد يضرب زميلاً له دون أن يعلم أن هذا يسمى اعتداء ولا يجوز فعله. والمعلم الكفء إذا رأى عند طلابه شيئاً من هذا يبين للطفل أن يحترم الآخرين فلا يأخذ مالايملك ولا يقول إلا الحقيقة ولا يعتدي على أحد ويتابع ما يظهر من أخطاء من طلابه فيحاول إزالتها ليقود الطفل إلى الحالة السوية متعاوناً مع ذوي الطفل عند الضرورة، ولكن يجب الحذر كثيراً أن نصف الطفل بألفاظ "سارق" أو "كاذب" أو "معتدي" أمام زملائه.

ولا بأس من استعمال الحزم إذا تكرر صدور بعض هذه الأفعال منه حتى يقلع عنها.

أساليبه وطرق تدريسه وتعامله مع طلابه

المدقق وحده في الأمور يرى أن الشيخ قد خلق ليكون معلماً اتسم بالشخصية المحببة، فهو لطيف المعشر، مبتسم دوماً، مرح، متفائل، سريع إلى كل مبادرة خيرة، محب لكل كائن حي، واكتسب معارف لغوية وتربوية زادت من شمولية نظرته واتساع فكره وصدق عواطفه وزادته التجربة والدراسات النفسية حدة في الذهن وصدقاً في المعرفة، يأتي بالأمثلة والشواهد، ولا ينقلب على عقبيه مهما لقى من صعوبات، ولابد من الإشارة إلى شيء من أنواع أسلوبه المحبب الذي اتبعه.

١)- **الإثارة أو التمهيد** لمايريد أيصاله للطلاب، قد تكون نكتة لطيفة حبك أطرافها، أو تكون تحدياً لطيفاً للطلاب يستفز بها معلوماتهم بأن يجيبوه إلى ما هو بصدده كان يسأل: ماذا نفعل لنعبر ممرا امتلأ بالماء؟! فتتكاثر الإجابات حتى يصل إلى ماهو بحاجة إليه في تأكيد التعاون عملاً أو استعمال الأيدي وسيلة.

وكم كانت السعادة تتغلغل إلى نفوس الطلبة حين يثبتون جدارتهم أمام معلمهم!..

أما القصص الشيقة فكان لدى الشيخ منها الشيء الوفير الذي يستعمله في مكانه المناسب، والأسئلة المتنوعة لها نصيب وافر في إثاراته. وكان يسرنا دوماً عندما يأتي بشيء حسي ملموس ليثير اهتمامنا للموضوع الذي سيتطرق إليه، ومن المهم أنه كان يشغل الطلاب باستمرار فوقتهم ممتلئ دوماً مما يثير خيالهم ويقوي محاكماتهم ويغرس حب القيم في قلوبهم.

٢)- **لكنه من جهة أخرى** ما كان يتساهل مع المسيء من الطلبة مهما كان، فكل الطلبة سواء لديه، ولقد صدف أن طالباً أساء الأدب بحضرته وأظهر عدم لباقته وسوء أدبه وهز بدنه راقصاً وناله جزاء ذلك عقاباً صارماً من الشيخ، وكان

والد الطالب شخصية مهمة. فجاء المدرسة مستفسراً شاكياً، وفي جعبته تقارير طبية عن مدى الأذى الذي لحق ولده. وفي فكره لوم وغضب على المعلم وقد صمم مع زوجته رفع الأمر إلى القضاء.

لم يمهل الشيخ الأب و لم يعتذر إليه بل لحقه بوابل من اللوم وبكثير من التوبيخ وانتهى بقوله: لقد أعطاك الله أمانة فأسأت الأمانة، فأخرجت ولداً ينقصه الأدب ويعوزه الإنضباط، ويحيط به الإهمال، فتحول الأب مدافعاً وانقلب متهماً وتحول معتذراً آسفاً مشفقاً على نفسه أن يناله من اللوم ومن الإتهام بالتقصير.

انتهت المناقشة بين المعلم والأب نهاية أخوية وأصر على المعلم دعوته لبيته لإنهاء هذا الخلاف.

وفي بيت الأب نال الأم من الشيخ عتاباً ولوماً أكثر مما نال الأب وخاصة لما علم أن ثقافتها تركية فرنسية، وانقلبت آسفة معتذرة وعندئذٍ صارت له مع هذه العائلة علاقة أخوية استمرت طويلاً. وكان لسان حاله في العقاب قوله: من لايؤثر فيه منظر الورد الجميل ورائحته العطرة أثر فيه شوك هذا الورد!!.

٣)- **أسلوب التكرار والترداد** كما يتبعه باستمرار، ويعتمد عليه بإصرار ومهما تأكد من حفظ مقطوعة شعرية أو آيات من القرآن الكريم من قبل طلابه كان يصر على إعادة ما حفظ طلابه بطريقة جماعية ثم يتأكد من حفظ طلابه لها إفرادياً، و لم نكن ندري ماذا سيسألنا ولذا كنا باستمرار نحفظ ما أعطينا من دروس ونفهم معانيها. وكان يقول التكرار يفيد الأذكياء. على شرط أن نفهم ما نحفظ. وقد ترك دائماً فترات مناسبة للحساب الذهني رابطاً إياه بأمثلة من الحياة البسيطة، وحتى لايتسرب الملل إلى عقول الطلاب كان يخرج من حقيبته الملئية دوماً بالأحاجي والمسائل الحسابية اللطيفة: ولا أزال أذكر أولى هذه الأحاجي الحسابية:

احتلت ثمانية طيور أغصان شجرة أصاب الصياد منها اثنين فكم بقي على هذه الشجرة؟.

٤)- **وإذ يبدأ بتدريس مادة معينة** فإن بوسعك التأكد بأنه سوف يصل بها إلى الأوج فهماً لها وتحبيباً بها، وحتى تخال أنها المادة الدرسية الوحيدة الجديرة بالإهتمام والذكر، حتى ولو كانت مادة الأشغال اليدوية أو الرسم، فكل المواد الدرسية عنده مهمة وكل المواد الدرسية لديه ضرورية، ويجعل طلبته يحبونها ويهتمون بها، فهو يريد لكل طالب أن يكون نجيباً بكل المواد.

لكن هناك مادة واحدة كان الشيخ يميزها ويعطيها وقتاً أكثر وجهداً أكبر هي مادة اللغة العربية، فلها في كل ميدان جولة وفي كل زمان صولة ويعتبرها اللبنة الأساسية التي تربط بين بقية المواد وبقية المعلومات، ويعتبرها المضمون والشكل والأسلوب فهذه المادة شيء كان يريد لها في نفوس الطلاب مكاناً مميزاً وبناءً شامخاً وإبداعاً مستمراً.

وإذا ما أنهى طالب رسم شكلٍ أجاد فيه أو أدى واجباً برز فيه، حوله ليعين طالباً آخر في اللغة العربية، وإذا ماكان في هذا الطالب ضعف في اللغة العربية يجعله يتلقى المساعدة من طالب يقومه وبذلك أمن على من أنهى عمله أن لايكون عنصر شغب وجعل وقت طلابه لايضيع سدى.

٥)- **وللتشويق فضاء واسع الأرجاء** لدى الشيخ فأية مادة درسية تجد لها دوماً وأبداً عناصر من الإثارة والإرتقاب والفاجآت، فمن لفظات جميلات أو قصص منمقة، أو لحن مميز، أو اتباع القراءة المعبرة عن الشيء بحيث لايعلم الطالب كيف انقضى الدرس. إن كثيراً من الأطفال كانوا يحجمون عن الخروج من المدرسة إلى الباحة، لأنهم يطلبون المزيد مما يأتي به ذهن الشيخ وفكره وأعماله.

٦)- **المكافأة الآنية:** يومض مرآها في ذهن كل طالب. فالكل يرنو إليه والجميع يتوقعون أن تنهال عليهم كحلم يُشع بأحاسيس الطفولة ومباهجها.

وكل طالب يتمكن من الحصول على إحداها بمواكبة المعلم، بالإنخراط في الدرس ولمّ الفكر واليقظة لكل صغيرة وكبيرة، والإنسجام التام مع الزملاء إصغاءً وانتباهاً، وبعد كل هذا يدخل الجميع في خضم الدرس فيتحول هدفاً حقيقياً بعدما كان وسيلة لنيل المكافأة. لكن الشيخ يتفحص الوجوه ولا ينسى المكافآت بل ينثرها لمستحقيها فهي في نظرهم أغلى من اللؤلؤ والمرجان. ومكافآته حاضرة جاهزة لدى الطلب، تحتل مستودعات جيوبه الكثيرة، صحيح أن المجيب الأول له مكافأة مميزة، لكن المجيبين الآخرين ينالون هداياهم بالعدل والقسطاس مهما كثر عددهم، وفي إحدى الحصص تبين له أن كل الطلاب نالوا العلامات العالية في مادة الإملاء، فرأى أن هداياهم تنقص واحدة فخرج من غرفة الصف ليستكمل عدد الهدايا بعدد الطلاب.

لمكافآت الشيخ وهداياه من ألعاب وحلوى وأقلام قيمة مادية رمزية لكنها عند الطلاب تفوق كل وصف وتزيد عن كل قيمة، ولا تقارن بأية لعبة أخرى أحضرها الطالب من بيته مهما غلا ثمنها وندر وجودها. فحلواه لها طعم لذيذ طبختـه أحلام الطفولة ونمته. ولها منظر خلاب نسجته مخيلات الصبا، ولها رائحة عطرة من بستان المرح وألوان براقة زادتها جمالاً عيون الطفل المحبة.

وليس من الضروري أن تكون المكافآت لعبة أو قطعة حلوى أو دفتراً، فقد تكون ثناءً مكتوباً أو تقديراً مشفوعاً بشكر أو كلمة "مرحى" مطبوعة على قصاصة ورق، والمهم فيها أن تقدم في الوقت المناسب على مشهد من زملاء التلميذ وأقرانه،

وإذا عزت المكافأة المادية أو المطبوعة، فإن كلمة ثناء صادقة صادرة عن المعلم أو المدير يكون لها صدى السحر والغبطة تفوق الهدايا التي تقدم بشكل روتيني بارد.

وقد دأب الشيخ دوماً على تقديم هدايا مشفوعة بمداعبة لطيفة، "تهنى يا عمي تهنى" أو كلمة تشجيع صادقة "أحسنت وشكراً" أو يصافح الطالب المحسن، ولقد أحسن أحد التلامذة القصار مرة وأراد أن يراه كل الطلبة، فأوقفه على كرسي لهذه الغاية وشكره، وأهم ما كان يفعله الشيخ في نفوس الطلاب أن الهدية أوالمكافأة لايعتبرها عطية بل هي حق للطالب النجيب، ويزيد في قيمتها في نفوسهم أنها تقدم من الشيخ بعفوية تزينها ابتسامة عريضة صادرة من أعماق الشيخ ووجدانه، تبقى آثارها الحميدة في نفس الطالب زمناً طويلاً، وقد حدثني بعض الطلاب أن الشيخ قدم لمجموعة منهم ممن أظهروا اجتهاداً ونبوغاً خواتم فضية ثمينة وملابس وأحذية، فلم يكن يتوقف عند حد في عطاياه ومكافآته وخاصة لطلابه الذين يجد فيهم خصاصة وفقراً، والمهم في الأمر أن الشيخ يتناسى ما قدم لأي طالب حتى لايكون له عليه منة ثم أصبح ذلك فيه عادة.

٧)- المرح: ولا نقصد أن يحول الشيخ الصف إلى ملاه مستمرة للطلاب يلعبون ويغنون ويصخبون، بل على العكس من ذلك فإن الشيخ انتهج النظام دوماً والإنضباط أساساً، والفرق واضح بين النظام والفوضى، وبين المرح والجد، بل المقصود من ذلك إنه حول الصف إلى مكان خفيف الظل حبيب إلى قلوب الطلبة، ولم يكن ثقيل الوطأة عليهم أو شديد الضغط بهم، ولكنه آثر أن يجعل المرح يحيط بطلابه ليشعرهم بالسعادة والغبطة أثناء الدراسة لابالضغط النفسي والشدة والقسوة.

وقد أتاح لطلابه أن يتعلموا ويتربوا في جو عبق بالمحبة والتفاهم والمساواة، ولكن ضمن النظام الذي يعتبره أس الحضارة ومثبتها. فأسئلته وقصصه وأمثلته لم تكن جافة قاسية، بل تفيض بالمرح والمداعبة، وكان الطلاب يسعدون بها وينتظرونها على أحر من الجمر ولايخفون وجوههم.

وإذا وجد في طلابه مللاً وتعباً، جعلهم ينالون قسطاً ضئيلاً من الراحة أو طلب إليها إنشاد أغنية مدرسية جذابة أو قص عليهم قصة مرحة. كان صف الجمالي صفاً نموذجياً خلا من الفوضى ولكنه امتلأ بالأحلام الوردية، وعبق بالمرح اللطيف، وطفح بالمعلومات، وساده النظام بغير ضغط، وصفت به النفوس بغير خوف، وتحققت به أهداف التربية ممتزجة بالأواصر التي نراها سائدة في الأسر المتفاهمة. وانتفى التجهم والقتامة من جو الصف لتسود روح الألفة والمحبة والمرح.

٨)- **<u>الأمل:</u>** حيثما اتجه الأستاذ الجمالي وأينما حل وكيفما عمل ودبر، وخاصة في قاعة صفه كان يؤكد ويصر على طلابه استمرار الجد والعمل والمثابرة، ويقول بأن أي عمل له نتيجة، وعمل الخير نتيجته الخير والأمل. فإذا كانت سورية تحت الإنتداب الفرنسي يوماً ما فإنها ستنتهي من ذلك عاجلاً أم آجلاً، وإذا كانت بلاد ما متخلفة جاهلة فستنتهي تخلفها وجهلها.

ولذلك كان يغرس في نفوس طلابه أمل النجاح في الدراسة وأمل التقدم في الوظيفة وأمل الإزدهار في العلوم، آمال عريضة وضاءة تنير الحياة الصعبة التي كان يعيش فيها الناس في الماضي، كان الشيخ ينسجها في كل حديث وفي كل درس وفي كل وقت.

لكنه رفض الأمل منفرداً بل ربطه بالعمل الدؤوب المنظم الجاد، فلا يحق لنا أن نأمل معتمدين على غيرنا بل على نفوسنا، والأمل في هذا المنطلق هو نتيجة للعمل

وثمرة له، ولا يحق للإنسان أن يركن إلى الدعة والكسل ويأمل أن ينجح ويسود. وهو يضيف إلى ذلك أن يكون العمل نظيفاً نقياً خالياً من الغش والإضرار بالآخرين، فلا نأمل بالحصول على ما هو بأيدي الآخرين أو بما هو نتيجة تعب الآخرين وشقائهم، ولا نأمل بإنزال الأذى بأحد أو نأمل بما نحن لسنا جديرين به.

والأمل هنا عكس القنوط واليأس، ولكن لابد له من مثابرة وعمل وجهد وتفكير ومتابعة، فلا ننقلب على عقبينا عندما تصادفنا عقبات، أو تقف في وجوهنا صعوبات، بل نحاول تبديل وسائلنا أو تعديلها، أو تنظيمها. ومن المفترض في مثل تلك الأمور أن ننفذ اتجاهنا أو وسائلنا لنتحقق من الوصول إلى ما تصبو إليه نفوسنا من آمال، على شرط أن لانصيب الآخرين في آمالهم.

والأمل عنده نقيض أحلام اليقظة. فإذا كان الأمل هو التفاؤل بمستقبل زاهر يتحقق بالعمل الدؤوب المثمر وبالفكر الواضح وبالعلمية الحقيقية، فإن أحلام اليقظة تنعي الفكر المغلق وجمودية الحركة التي تنعدم فيها كل حقيقة علمية. قد يتيسر العمل بالخيال وتصميم بعض المشاريع ذهنياً مسبقاً لنصل إلى ما نصبو إليه بالأمل المحقق، والخيال كنوع من الإبتكار الذي يرافق أحلام اليقظة فهو أوهام لاتفيد شيئاً. والآمال التي تعقدها يجب أن تكون معقولة مفيدة فما فائدة إضاعة الوقت في آمال لاتتحقق أو أنها قد تطال آخرين لايشاركوننا في آمالنا. وكم أضاع جحا (كما تقول النكتة) أياماً طويلة وجهداً كبيراً للحصول على موافقة والديه على خطبة ابنة الملك و لم يبق سوى موافقتها وموافقة الملك والملكة ورجال الحاشية!! وتقول العامة في الآمال المستحيلة عند الفرد "مثل أمل إبليس بالجنة".

رب قائل يقول حرام ان نطفئ آمالنا بأفواهنا ونقضي عليها بأيدينا، ويقول آخر بأن تدقيق التفكير قد يوقعنا بالمآزق وعلى العكس قد يفيدنا التسرع والجنون

أحياناً، وأن سمة الأمل يجب أن لاتتعرض لعواصف الرفض ةالتضييع، ولكننا نجيب أن الصبر والتصبر فيهما حكمة الوصول إلى تحقيق الآمال المعقولة بالنجاح الذي نتمنى تحقيقه على اسس موضوعية وأمور مرتبة ومدروسة، وأن كل ليل مهما طال ينتهي إلى ضياء ونور وعمل. وبالإجمال كان الشيخ يريد لكل طالب ولكل صديق ولكل فرد أن يجد في ساحة فكره نجماً مضيئاً وأملاً فسيحاً في دراسته في عملة في أحواله الإجتماعية، وعلى ضوء هذا الأمل يعمل ويفكر ويخطط وينتقي الاساليب، والوسائل التي توصله لهدفه بشرط إمكانية تحقيق هذا الأمل، بدون ان يؤذي أحداً ويجب أن تكون الآمال موضوعية تطال شؤون الجماعة من حسن اجتماع وحسن حياة وقيم أخلاقية وغيرها. فتحلو عندئذٍ الحياة في أعين الجميع ويصبح في كل عمل متعة وفي كل خطوة مسرة، وفي مسيرة طافحة بالقيم الأخلاقية وبالقيم التربوية وبأحلام الناس كباراً وصغاراً لتحقيق الحياة المثلى للإنسان العربي واستمرار وجوده.

٩)- المساواة بين كل الطلاب وعدم التمييز بينهم ونصرة المظلوم منهم

تفسد العملية التربوية وتنحدر أهدافها إذا انتفت المساواة، فقد يعمل بعض المعلمين عن حسن نية بتمييز طلاب عن آخرين وجدوا فيهم تجاوباً في الدروس أو رأوا فيهم أدباً، أو نظافة، فآثروهم بانتباه أكثر أو اهتمام اوسع وإن هذا الإنتباه وهذا الإهتمام البريء يجعل الطلاب يشعرون بالترفع على زملائهم والسيطرة عليهم ولا يوقف طغبانهم إلا استبدال المحبة التي يلقونها بالمساواة مع زملائهم، وهذا ما كان الأستاذ الجمالي ينهجه في أسلوبه التربوي مع طلابه.

لم يكن الشيخ يميز طالباً على آخر إلا من اجتهد وتأدب وتقيد بالنظام. فهذا له هداياه وله شكر مستمر باستمرار اجتهاده، وتمييز هذا الطفل منوط بتقيده

بالنظام وبعدم التدخل في شؤون زملائه، بل ينال عند ذلك شرف أن يساعد زملائه المقصرين ويأخذ بايديهم.

ومن اللطيف أن الشيخ كان يجري تبدلات في أماكن جلوس الطلبة حتى لايستأثر بعضهم بالجلوس في الأماكن القريبة منه، إلا هؤلاء الطلاب الطوال العراض فلهم الأماكن الخلفية يتبادلونها مع من هم بمثل طولهم، و لم تكن تجري أية عملية تنقل إلا بعلمه وبموافقته حتى لايظلم أحد الطلاب. وكان باستمرار يأخذ بيد الطالب الخجول مشجعاً، ويحاول رفع سوية بعض الطلاب ليساووا زملاءهم في المظهر والروح المعنوية وحتى في ساحات اللعب ليشعروا بالمساواة مع بعضهم.

وإذا بدر من طالب خطأ أو إهمال قدر ظروفه المعاشية السيئة ورثى لحاله وكان لومه له أخف مما كان الطالب منعماً مستريحاً في حياته البيتية.

ولا يستحي ان يذكر الأسباب عند معاقبة الطالب الغني: "هذا له عذر من أجل تدبير معيشته وأنت ما هي أسبابك؟!".

وقد انتقلت فكرة المساواة إلى طلابه فكانوا دوماً يتعاملون مع بعضهم في فضائها الواسع وانتقلت معها فكرة التعاون والتآزر وتقديم يد العون وكم رأينا طلاب الشيخ الكبار يقدمون المساعدة للطلاب الصغار في اجتياز الطرقات ايام كانت تغرقها مياه الأمطار.

وينال ابناء الريف والبادية من حبه ومعاونته الشيء الكثير ويعتبرهم النواة الأصيلة للمجتمع ويقول ماكان لمدينة أن توجد لولا رفدها من سكان والبادية وإذا عدنا لأصولنا لوجدناها ريفية قروية بأصلها ولذلك يجب أن تسود الجميع علاقات المحبة والتفاهم والتآزر.

ويذكر باستمرار عبارة "لقد خلق ا لله الناس أحراراً".

وإذا ما وقع ظلم على أحد طلابه فإنه يلاحق الظالم أو المسيء ملاحقة لاهوادة فيها سواء أكان الحدث داخل المدرسة أو خارجها، ويكون العقاب من جنس الفعل ويُشَهر بالفاعل بين زملائه وفي طول المدرسة وعرضها، وإذا ما كان المسيء من خارج المدرسة ناله مثل ما يناله أي طالب عن طريق معرفة مدرسته أو ذويه، وعلى الأخص عندما يكون الشخص المعتدي كبيراً في السن فإن الشيخ لايستريح باله حتى يعطي للمعتدي عليه من طلابه اعتباره، إنه يريد أن يسودالسلم جو الطفل ويريد أن يسود مبدأ المساواة بين الأطفال منذ نعومة أظفارهم، إن المساواة بين جميع طلابه وفي محيط المدرسة تعني عنده الإنصاف والعدل والحق ولايريد استبدالها بالمحاباة لأبناء ذوي الجاه، كما يقول إذا أضاءت فكرة المساواة في مجتمع فلا يجب أن تطفأ ويذهب بنورها، لأنها اللبنة الأولى في بناء المجتمع المدرسي.

وهناك أساليب أخرى متعددة ومفيدة للطلاب ومحببة لهم فإن الشيخ ينتهجها ويرى فيها قنوات تصب في ميدان فائدة الطلاب التربوية والتعليمية، لكن من أجلها نعيد ذكرها فيما يلي:

- الإثارات اللطيفة المحببة للمادة والمهيئة لأذهان الطلاب.
- عدم التساهل مع المسيء من الطلاب الذين يعثرون النظام العام للدرس.
- الإعادة والتكرار والربط المستمرين أجزاء المادة لتمنين ثقة الطلاب.
- الاهتمام بكل الطلاب وبكل المواد وإن كان يعطي الحظ الأوفر للغة العربية.
- التشويق المتنوع لكل درس في كل لحظة وفي كل جزء.
- المكافأة الآنية التي تشجع الطلاب على متابعة المعلم والدروس وتحقيق أهداف المدرسة.

- دفع موجات المرح لتتأصل في أجواء الصف وتعبق في نفوس الطلاب سعادة وانطلاقاً.
- جعل الآمال بقدر أفضل تتسرب إلى نفوس الطلاب وتزيد من انطلاقهم في سبيل التقدم والنجاح والازدهار .
- أن تسود المساواة في عالم الأطفال لتكون لهم نبراساً في مستقبل الأيام وليتعودوا العدالة والإنصاف والمحبة في معاملاتهم مستقبلاً.

ولكل هذا ومثله كثير وكثير من أساليب الشيخ المجدية أحب الطلاب معلمهم ولاعجب عندئذ إذا رأيناه كلما ابتسم لهم أجابوا وإذا عبس سكتوا وقليلاً ما عبس وهذا حسبه.

أراؤه السياسية والعامة

لقد وجه الأستاذ الجمالي باستمرار أصابع الاتهام واللوم لجماعة التتريك كغرباء محتلين ومخادعين، غدروا بمن عاونهم من العرب للتخلص من الاستبداد الحميدي، فإذا بهم قد فاقوا هذا الاستبداد حدة وعتوا، إذ فصموا كل جسور اللقاء مع من عاونهم، وقابلوا الإحسان بالإساءة واستبدلوا أسلوب التعصب بدل التسامح، ونهجوا أسلوب الفوقية بدل المساواة، ورفعوا شعارات خيره أرادوا بها شراً، وزاد لوم الشيخ لهم عندما تخاذلوا أمام إيطاليا، وتخلوا لها عن القطر العربي الليبي وتركوا الشعب الليبي طعمة للنيران، وزادت نقمته عليهم بما أنزلوا بمحاكمهم من ظلم وأحكام جائرة بالشهداء العرب، وتنبأ لحكام الترك بالهزيمة التي حاقت بجيوشهم في نهاية الحرب العالمية نتيجة رعونتهم وقلة تبصرهم بالأمور حيث جروا الشعب التركي والشعب العربي لحرب لاناقة لهم فيها ولا جمل.

ثم وجه أصابع الاتهام لدول التحالف الإنكليزي والفرنسي بعدما غدروا بالعرب ونقضوا عهودهم بعدما قدم لهم العرب الأضاحي وساعدوهم في إحراز النصر على دول الاتفاق، وهذه المعاونة العربية لو لم تقدم لتغير وجه التاريخ ولربما تبدلت وجهة الحرب، وعلى الأقل في منطقة الشرق العربي، في فلسطين وفي العراق والشام.

ولما اخترع دهاقين رجال السياسة ومنظرو الدول التعابير الجديدة للاحتلال من انتداب ووصاية على الشعوب رأى فيها شراً مستطيراً مغطى بأردية دبلوماسية شديدة الخطر على الأمم والشعوب المغلوبة على امرها. وخاصة منها البلاد العربية التي لم تكد تتخلص من خطر حتى تقع بخطر أشد تنظيماً وأكثر طمعاً. وكذلك رأى أن الاستقلال الناجز للوطن العربي هو الهدف والوسيلة لتحقيق آمال كل العرب.

ولقد ملئت نفسه غبطة بعدما بقي العرب عدة قرون يحكمون من قبل الآخرين، يتحملون مسؤولية بلادهم والنهوض بها والدفاع عنها. وها هو الفارس العربي ينهض من كبوته ويعود إلى الساح بعد أن اقصي عنه طويلاً، ولكن أحلام الطيبين لاتستمر طويلاً، وهي تزهر ولاتثمر، فلم تكد تجف دماء ألوف الضحايا حتى قضي على الدولة العربية والوليدة تحت المطامع الدولية الشديدة الوطء، وانقضى الحلم الجميل، وحلّ محله كابوس الاحتلال والانتداب محملاً على الآلة الحربية ومحملاً بالأطماع والغرور.

وقد تأكد له فيما بعد أن نظرية سياسة الانتداب الفرنسي فاسدة قاسية، وأن الادعاء الذي ورد في بنود الانتداب وتطوير حال البلاد حجة واهية، تبدي الشيء الحسن وتخفي بشاعة الاستعمار، وتبطن المطامح والمصالح الحقيقية للاستعمار. وأن

الاحتلال العسكري المرتبط بالانتداب ويرتبط برغبة الدول المستعمرة بالحصول على ثمرات أوطان غيرها، ويرتبط بالرغبة العامة لهذه الدولة أن تستولي على كل خيرات هذه البلاد، ما ظهر منها وما بطن.

ويرتبط بجعل البلاد العربية متخلفة متخاذلة مستكينة للاستعمار والانتداب من جهة أولى، ومن جهة ثانية يريدها متفتحة له كسوق مستهلكة لبضائعه، ومستقبلة لثقافته ولغته ونظمه. وقد زاد الطين بلة في الانتداب الفرنسي، ما تميز به الفرنسيون المنتصرون في الحرب العالمية الأولى من غطرسة وتسرع ربما فرضوه على البلاد من أتاوات وغرامات حربية بعد كل تظاهرة أو إلحاق الأذى بإجراء المستعمرين.

وقد وجد في السياسة الإنكليزية قمة الخداع والمراوغة بالتعامل مع العرب، ورأى في أسلوب تعاملهم أكبر شرك وقع فيه الحكام الذين تعاملوا معهم، لأن ساسة هذه الدولة أتقنوا المهارات الساسية التي ظاهرها الخير والاستقامة وباطنها الغش والخداع، وخاصة في فلسطين، فقد أغرقوا البلاد بتلك الكتب التي تصدرها الحكومة المنتدبة حين يتأزم موقفها. فهناك كتاب أبيض وآخر أزرق وثالث لاندري ما لونه؟ تصدر هذه الكتب لتهدىء من ثورة الجماهير العربية، ولتمتص غضبتها، وتطفي جذوة الانتفاضة لديها. وهو لذلك يحمل ساسة هذه الدول مسؤولية المشكلة الفلسطينية وما حاق بالأمة العربية.

وكان يعتقد أن عزلة الإنكليز في جزيرتهم وانطوائهم على أنفسهم، وحروبهم الداخلية المستمرة مع الاسكتلنديين والإيرلنديين وسكان ويلز، وشعورهم بالغربة مع الأوربيين كل ذلك وغيره كثير أعطاهم قدرة على المناورة والمراوغة في حروبهم وفي مجادلاتهم الساسية وفي مفاوضاتهم وخاصة منها مع العرب، إذا أوقعوهم في حبائلهم راضين مطئنين.

ورغم أن سورية لم تكتو مباشرة بالاستعمار الإنكليزي. فـإن علامتنـا الجمـالي كان يرى أن الانتداب الإنكليزي ووعد بلفور في فلسطين ستلحقاذ الوجوه لظـى في كل بلد عربي وأن الأذى سيحيق بالعرب ولأزمنة طويلة من سياسـة الإنكليز، وأن الشعب الانكليزي متحمل لجريرة حكومته وساسته تجاه العرب الذين عاونوا الإنكليز بصدق فنالهم منهم جزاء سنمار.

اعتبر الشيخ أن شر أنـواع الإسـتعمار تمثلـت بأعمـال الساسـة الطليـان مـاقبل الحرب، وكان يشعر بالمرارة والاسى لما لحق بالزعيم العربي عمـر المختـار والشـعب الليبي الذي ضحى على مذبحة الأطماع والحقد واللؤم الذي أظهر سخف السياسيين الإيطاليين وقصر نظرهم ومحدودية تفكيرهم، وتقوقعهم على فكرة إعادة إمبراطورية الروم البائدة. وكـانت معالم وجهـه تفيـض بالأسـى لمـا يعانيـه الشـعب الليبي مـن الإستعمار الإيطالي البغيـض، وإن الأضـرار الـتي لحقـت مسـتقبلاً بـالأراضي الليبيـة والشعب الليبي من أضرار نقل صراعات الدول إليها أثناء الحرب العالمية الثانية، هذه الأضرار لايمكن تقديرها ومدى أذاها.

ومن شدة ما عاناه الشعب العربي من الإستعمار الغربي المتمثل خاصة بإنكلـترا وفرنسا وإيطاليا، فقد نظر بدوره بحذر إلى ما يطرحه وما طرحه الألمان أثناء الحـرب العالمية الثانية من مدّ يـد الصداقـة إلى الأمـة العربيـة، واعتـبر أن ذلـك مـن دعايـات الحرب وسيزول بريق هذه الإدعاءات على مذبح المصالح الخاصة بكل دولة. وكـان يقف موقف الحذر من الولايات المتحدة الأمريكية، إلى أن اتضحـت سياسـتها أثنـاء الحرب العالمية الثانية فاعتبرها وريثة إنكلترا في تصرفاتها في المنطقة.

وكان يقول عن الدول المستعمرة برمتها، بأنه مهمـا اختلفـت أقـوال سياسـتها وتنوعت أساليبهم، وتشابكت مصالحهم، فإن قلوبهم وبواطن أمورهم واحـدة تنبـع

من مطامعهم الخاصة واجماعهم على إلحاق الأذى بالأمم القديمة ذات الحضارات التليدة، ونهب ثرواتها، وتأخير تقدمها، وربطها بمناطق نفوذ الإستعمار الثقافي والسياسي والعسكري.

وعلى شدة كره الأستاذ راغب الجمالي لكل ماهو إستعماري أو متعلق بدول الإستعمار أو أساليب تعاملهم مع الغير، فقد ميز وبوضوح بين الشعوب والحكومات الأوربية فكان يقول: إذا كنا نكره الإستعمار الفرنسي ورجاله ونكره مطامع رجال السياسة فيها، فيجب أن لايمتد هذا الكره إلى الشعب الفرنسي، ولا إلى مفكريه ومخترعيه وأدبائه، وإلى الثقافة الفرنسية. ونذكر قوله إن العلم الفرنسي يجب أن يرفرف في بلاد فرنسا في باريس ومارسيليا وغيرها. أما هنا في سورية فيجب أن يرفرف العلم العربي.

وما ينطبق على فرنسا ينطبق على بقية الشعوب الأوربية أو الأمريكية كشعوب إنكلترا وإيطاليا وألمانيا وشعب الولايات المتحدة.

لم يكن يذكر الإتحاد السوفيتي كثيراً إما لأنه لم يكن على إطلاع على أحوال الإتحاد السوفيتي بسبب قلة الأنباء عنه أو لأنه لم يجد أطماعاً لهذه الدولة في البلاد العربية، ولكنه كان على علم بالطريقة التي ترتبط بها شعوب الإتحاد السوفيتي مع بعضها، فعند اقتراحه توحيد البلاد العربية، اقترح أن تكون تلك الوحدة على أي شكل يؤدي إلى رفعة شأنها وسؤددها وطرح فكرة أن يكون الإتحاد فيها شبيهاً بما في الولايات المتحدة الأمريكية أو في الإتحاد السوفيتي.

ونظر إلى الشعب الصيني نظرة الإكبار والتقدير كشعب صديق عريق، وتمنى له الأخذ بسبل التقدم والإزدهار التخلص من أطماع أوربا وأن يتخلص مما هو فيه من

تأخر بسبب أطماع الإستعمار في خيراته وخاصة قبل الحرب العالمية الثانية وقبل أن تجري فيها رياح التغيير وتستقل كما تمنى للشعب الهندي كل الخير بالإستقلال.

ورأى في تقدم اليابان وازدهارها في الصناعة والتجارة والتقدم العلمي الشيء الملفت للنظر، وأن على كل بلد متخلف إتباع الأسلوب الياباني في التقدم العلمي والصناعي والأخذ بحضارة الغرب مع المحافظة على القيم والجذور القومية، وكان يطرح فكرة أن مصر كانت مؤهلة لتتقدم وتزدهر أكثر من اليابان، ولكن الإستعمار لحظ بوادر التغيير فاحتل الإنكليز مصر ليمنعوا عنها كل مصادر المعرفة، وليفرطوا سبل المعرفةفيها وليسحقوا كل نبتة علم أو اختراع فيها، وهذا ما جربه المستعمرون وعملوه في كل بلد عربي.

وكان يرى في اسماعيل باشا والي مصر نموذج الفرد الذي أراد أن يطور مصر عمرانياً وصناعياً وثقافياً وعسكرياً، فألصقت به فكرة الإسراف، وكأنه لم يصرف الأموال إلا لنفسه ولبناء القصور، ولكن واقع الأمر أنه قد استورد آلات متطورة ومشاريع لمصانع وقطارات زغيرها. نظرت إليه إنكلترا بعين الريبة وتعاونت مع الرجعية والتخلف لتقضي على الحلم الذي كان يدور بذهن هذا الرجل لتقدم بلاده، وكان المجتمع الحمصي يستغرب صدور هذه الأنباء عن اسماعيل ولكن المؤرخين والعارفين بالأمور ذكروا مصداقية هذه الأقوال فيما بعد.

وكل الدلائل والحوادث تشير إشارة لايخطئها المتفحص إلى أن الجمالي أحب ومن كل أعماقه كل ماهو عربي -أليس النبي عربياً- وتمنى للعرب في كل أصقاعهم ومواقعهم الخير العميم والتقدم المستمر والحياة الكريمة، أحب الخير لأمته العربية، ولكل الناس، أحب المودة تسود الجميع في كل زمان ومكان، أحب العدالة والتسامح والديمقراطية العربية الحقة، أعجب دوماً ببلاغة العرب ونفسيتهم التي تأبى

الذل والخنوع، واعتبر القيم العربية نبراساً لمن يريد أن يستنير بمثل الإنسانية الحقة. ودعا الشعوب دوماً لغرف القيم العربية النابعة من منهل الخير للجميع.

لكن الإعجاب بأمته ومناقبها وحسناتها لم تمنعه من ذكر بعض المثالب التي حاقت بالأمة العربية من إختلافات وتفرقة وتمزق. والإعجاب بأمته لم يجعله شوفونياً متعصباً بل متفتحاً مرناً حذراً، والإعجاب بأمته لم يمنعه من الإعجاب ببقية إنجازات الشعوب الأخرى و لم يمنعه من الإعتقاد بأن الخير لايحدد مصدره ومنبعه بل لايدري الإنسان ولا تدري الشعوب من أي شعب آخر يأتيها الخير.

لقد أعجب دوماً بالنظام والتنظيم العام التي تتبعه الشعوب ونظر بتقدير إلى المخترعات الأوربية التي أفادت البشرية جمعاء ولكنه كره استعمال أدمغتهم وأنظمتهم في اختراع أسلحة التدمير، وكره من رجال السياسة الأوربية ومن رجال المصالح فيها، أطماعهم التي ليس لها حدود، وحقدهم القديم الذي لامبرر له تجاه الأمة العربية. لكن إعجابه كانت لاتشوبه شائبة في رجال الآداب والفكر من كل صقعه ولون.

وفي التعامل مابين الأفراد كما الشعوب والحكومات أكد على المساواة والعدالة والتعامل بالمثل على مختلف الأصعدة وللفائدة المشتركة للجميع، حيث لايكون في تلك العلاقة ما يشوبها من أدران الأنانية، وأراد مدينة فاضلة للعالم أجمع، فلا غالب ولا مغلوب، ولا تابع ولا متبوع، ولا خاسر ولا رابح، بل الكل سواسية كأسنان المشط، ورأى أن إنزال الخسارة في أحد طرفي المعادلة الدولية يؤدي إلى الخلل في تركيبها ومن ثم إلى استبدال تلك المعادلة بعلاقة مضطربة تتحول إلى شحناء وتباغض واضطراب وحروب مستمرة لاطائل منها فالخاسر اليوم سوف يتحين الفرص لإنزال الخسارة بالطرف الآخر في سلسلة لاتنتهي شرورها ومفاسدها.

ورغم التأكيد دوماً على العدالة بين الأفراد والجماعات وعلـى تمنياته بإحقاق المعادلات السليمة بين الجميع على مستوى الإقتصاد وعلىمستوى السياسة وعلى مستوى الإجتماع العام وتبادل المنافع -التي كان يدعوها التعاون- فإنه لم يصرح بأرائه في الإشتراكية ولا السبل التي تنظم الإقتصاد، ولكنه كان يؤكد وبإصرار على ان الخير يجب أن يعم الجميع، وأن نحدّ من أطماع النفوس بالتربية وبالتنظيم الحقوقي، وأن ننتهج الإقناع والتربية والحسنى أسلوباً في تعاملنا مع الآخرين، إلا إذا اشتط البعض في مطامعه وغطرسته وتجاهل مصالح الجماعة فيجب عندئذ التعامل معه بحزم وصرامة وصمود.

وفي الجبهة الداخلية يرى أن تكون دوماً متراصة بكل أفرادها، متعاونة بما فيه الخير للجميع ودفع الأذى عن الجماعة. ويرفض المبدأ القائل "أنا وأخي على ابن عمي، وأنا وابن عمب على الغريب" بل يقول أنا وابن عمي وابن جاري وكل فرد في المدينة أو الريف، في البادية أو الحضر، على الغزاة الطامعين، ويرفض رفضاً تمييز مدينة على أخرى أو حي على حي آخر أو ابن قرية على ابن قرية أخرى، يريد الكل صفاً واحداً لما فيه خيرهم جميعاً.

العنصرية

كان متفهماً لدينه الإسلامي وعارفاً لمبادئه ومتفقهاً بأموره ومؤمناً صادقاً، ومن هذا المنطلق كان متسامحاً محباً للمساواة، لايتعصب ضددين أو مذهب أو طائفة، بل يعتبر أن لكل فرد أن يعتقد ما يشاء ويفكر بما يريد ويتبع الأسلوب الذي يعتقده مناسباً في علاقاته مع ربه ومع الآخرين. فلم يذكر اليهود بشرّ، ولكنه كره العنصرية سواء التي وجدت لدى الحزب النازي في ألمانيا أو العنصرية التي وجدت

لدى الصهيونية، وكان يقول عن العنصرية أنها ليست خطراً على الإسلام والعرب فحسب بل هي خطرة على المسيحية بقدر ما هي خطر على اليهودية.

وكرهه للعنصرية نابع من كرهه لكل فرد يجب ان يتعالى على الآخرين او يظهر الغطرسةعليهم بما ملكه من مال أو جاه، ويعتقد أن التعالي من قبل الجماعات على بعضها أشد من تعالي الأفراد على بعضهم، ويعتقدان أن التمييز والتعالي مرض يجب ان يستأصل بالتربية والتفاهم.

الخير للجميع

كان الأستاذ الجمالي يكره أن يحيق الظلم في أحد ويعلق على مبدأ [أن نعيش وندع الآخرين يعيشون] وعلاقة ذلك بالأجانب، فيقول: نحن لاتعتدي على أحد ولانقطع رزق الآخرين أو نمسهم بسوء، لذلك يرى أن يقال: [اتركونا وشأننا ندعكم وشأنكم] ويرى أن الآمة العربية خلال التاريخ، لم تعتد على أحد، ولاتطمع بخيرات أحد، وإذا ما تركت وشأنها عاشت بسلام وأمن ورخاء، سيفيض نتيجة ذلك الخير على من حولها بالتبادل والتعامل الودي فيفيدون من هذا الرخاء أضعاف ما يرجونه بالقهر والسلب، لأن الأمة العربية في رايه لاتميل إلى العزلة والتقوقع بل إلى الانفتاح والتعامل القائم على المساواة.

حركات التحرر للشعوب

كان يرى في حركات التحرر حركة طبيعية من حق كل المخلوقات فكيف بالإنسان ونذكر فيما ورد في مكان آخر كيف كان يطلق العصافير والبلابل من أقفاصها سنحت له أو وجد أن اصحابها يطيعونه، فكيف لبني البشر وخاصة من اهله وعشيرته العرب في كل مكان والإنسان في مكان، وكان يرى أن التخلص من

الاستعمار المغتصب يتم بعدم تركه يركن إلى الراحة، بل يرى إقلاقه وباستمرار بالكر والفر، من قبل كل شعب مغلوب على امره سواء في الجزائر [قبل استقلالها] أو في فلسطين أو في الأوطان الإفريقية، أو في أية بقعة من بقاع الأرض فيها ظالم ومظلوم ويعني بذلك المستعمر والمستعمَر في لغة العصر.

العدالة

وفي التعامل مع الدول كما التعامل مع الأفراد يريد انتهاج مبدأ العدالة والاعتدال، فهو يكره التطرف في إيقاع الغبن على دولة أو شعب ويعتبر ذلك صنوا للطمع وقصر النظر، ويستعين بأمثلة يريدها من التاريخ فيرى أن الحرب العالمية الثانية ما كانت ستقوم وما كانت ألمانيا ستسير وراء زعيم الرايخ هتلر وأرائه المتطرفة ضد الحلفاء لو لم تكن معاهدة الصلح في فرساي قد تضمنت شروطاً قاسية بحق الشعب الألماني المهزوم، ويذكر على النقيض من ذلك أعمال عمر بن الخطاب وأراءه بالاعتدال في فرض أموال الجزية على سكان البلاد المفتوحة إذ قال: [اتركوا لهم درهماً أبيض لليوم الأسود].

التطرف

ويرى أستاذنا الجمالي أن التطرف والتشدد من قبل طرف واحد أو حكومة واحدة تجاه حكومة أخرى أو شعب آخر يقابله تطرف وتشدد وتزمت من الطرف الآخر، ولذا أكد على مبدأ التعامل بالمثل وعدم التزمت -إلا باسترداد الحق السليب- لأن من سيحيق به ظلم سيحاول رفع هذا الظلم وإيقاعه بالآخرين، ويرى أن يترك الباب مفتوحاً دوماً أمام علاقات مستقبلية تجاه الآخرين، فمنافسك اليوم قد ينقلب معيناً في المستقبل.

الصدق في التعامل الدولي

إن علامتنا بتشبيهه الجماعات بالفرد يتشبث أن تسود علاقات التفاهم ويعم العدل بين الدول والحكومات وأهم من كل ذلك أن تقوم تلك العلاقات على الصدق والوضوح والواقعية، ويتحمس لذلك ويعتقد أن في انتهاج هذا السلوك خير للجميع، وهذا اسلم من الخداع والمهارة السياسة القائمة على طمس الحقائق أو تحريفها، ومع هذا يريد اليقظة لأن صاحبها لا يقع في المهالك، ويستطرد في ذكر الميزات الفردية للإنسان وأنه يجب النظر إليها بعين التقدير والاحترام، فلا قيمة للأغنية إذا لم يحسن الفرد الغناء. وكم تضيع أغنيات صالحة استلم الغناء فيها من لايجيد الطرب ولايحسن الشدو.

نظرته في الاقتصاد

رغم الحماسة الشديدةالموجودة لدى الجمالي تجاه وطنه، ورغم فكرة المتقد، واهتمامه الزائد بتقدم وطنه، فلم تكن لديه نظرية تامة في حقل الاقتصاد السياسي أو سياسة الاقتصاد، ولكنه كان يطرح أراء أولية يؤدي استكمال نتائجها إلى تقدم الوطن، أو ينتقد أموراً يعتقد بأن إزالتها تؤدي إلى نتائج إيجابية مفيدة.

ففي حقل الاقتصاد الصناعي كان يصر دوماً على إنشاء المعامل بكثرة وأن تشحن بالعدد والآلات والخبرة والإدارة الجيدة وبالعمال المهرة، ويرى الاستفادة من المال العربي المتسكع في المصارف الأجنبية في تقدم الصناعة وترقيتها، وأن في ذلك فائدة لأصحاب المال ولأصحاب الصناعات حكومات وأفراداً، وأن في الاعتماد على الذات في الصناعة أمراً غاية في الأهمية.

الحواشي

١- رجال من بلدي د. قاسم الشاغوري ١٨٣

٢- تاريخ حمص جـ٢ الأستاذ منير عيسى أسعد.

٣- بيان إلى الأمة العربية جريدة الجمهور ١٩٥٦

٤- جريدة الينبوع مقالات لـ نديم عدي - رفيق الفاخوري - عبد الرحيم الحصني ١٩٦٥-١٩٦٦

٤- جريدة حمص الشاعر عبد الرحيم الحصني - الأستاذ أمر الله السطلي ١٩٦٥-١٩٦٦

٥- جريدة الفداء - عبد الرحيم الحصني - سهى الجمالي

٦- مجلة الثقافة بدمشق - د. عبد الحفيظ السطلي ١٩٦٩

٧- جردية العروبة - عون الدرويش - م. فيصل شيخاني

٨- المربي راغب الجمال - فيصل شيخاني - دار طلاس ١٩٩٢

الباب الرابع

نحن وهم ومستقبل الحضارة

على ضوء العلاقات الإنسانية المستقبلية

"نحن" و "هم" ومستقبل الحضارة

إن المستقبل "ونحن وهم" ومستقبلية الحضارة منوطة بنوعية العلاقات الإنسانية التي تتنامى خلال المكان صدا وارتخاء استقبالاً أو استدبارا، مساواة أو تحايزاً، لاسيما لمصلحة طرف على حساب أطراف أم ميزان زئبق حساس ينال بعد ليتاته الأعم الأشمل من المتنسمين (لأوكسجين) الحياة على هذا الكوكب الذي سينوء بحمله ستة مليارات من حملة الرئات.

فمن نحن؟ ومن هم؟ وماهي الجدليات التي ستنال "نحن" و "هم" أو بالأحرى ماهي الإسقاطات التي ستنال من شبكية كل من هذين الضميرين ومن تشابكاتهما في أوراق الجغرافية أو أوراق التاريخ؟

ولنبدأ بـ "هم" وليعذرني القارىء بالخروج مؤقتاً عن القاعدة النحوية بعدم وصل حرف الجر بالضمير المتصل معتبراً إياه مؤقتاً ضميراً منفصلاً فحسب لصياغة المعنى المقصود بذاته لمعرفة هؤلاء الذين قلنا عنهم: "هم".

استعملت الضمير "هم" ليدل على دول أوربا الغربية وما انضاف إليها من الحزمة التي ملصت من نظام ماركس بمساعدة أهل ماركس على الأغلب الأعم ويلحق "هم"الولايات المتحدة وربما كندا من حلف الأطلسي وإذا ما اتخذنا التقدم التكنولوجي والثروة والمال مقياساً اجتزنا المحيط الهادي لنضمّ للمجموعة اليابان وتلك الدول دخلت ساحة الثروة والصناعة والغنى مجدداً كتايوان وكوريا والصين.

أما ضمير الجمع "نحن" فالمقصود به أنا وأنت بالذكورة والأنوثة فرداً ومثنى وثلاث وملايين العرب وغير العرب في غرب آسيا وشمالي افريقية أو في المشرق

والمغرب، وتتسع دائرة "نحن" وامتدادها وكثافتها إذا اغتنت شموليتها لتضم الإيرانيين والترك والباكستانيين وربما دول جنوبي شرق آسيا، وإذا اتخذنا الفقر والضعف مقياساً قد نضم لهذا الجمع وسط أفريقيا ووسط أمريكا وجنوبها ايضاً.

وحتى لايزيغ بصر القارىء في الجغرافية المتسعة الأرجاء "الطبيعية" و "الديموغرافية" الهائلة سأقتصر على بلاد المشرق والمغرب أي المشارقة والمغاربة في الرمز "نحن" وسأحصر مفهوم "هم" في أوربا الغربية بسبب البعد التاريخي لعلاقات الطرفين ولتشابك مصالحهما والإشكاليات الضخمة في مصالحهما ومفاهيمها في مستقبل الزمان، وما ينبثق من تفاهم أو تضاد يعود التفاهم عليهما بالخير لكليهما والتضاد بالخسارة تلحق بالضعيف غالباً وإن كانت تنال القوى أحياناً.

بداية لابد من التذكير أولا بأن دراسة حيثيات كل معركة أو صراع يخرج منهما الغالب والمغلوب خاسرين فانكلترا دخلت الحرب العالمية الثانية وهي الأولى بحساب الأهمية والقوة والجبروت وخرجت من الحرب رافعة ألوية النصر على المحور مزهوة كخيلاء الغالب ولكنها انتقلت إلى مراتب قريبة من العشرين في الأهمية العالمية فيما بعد.

ولابد من التذكير ثانية إن أي بلاد أو دولة أو شعب لايستطيع أن ينكمش ضمن حدودية انطوائية ستنحاز لانكفائية مغلقة على الذات، فلابد من الاتصالات الفكرية والمعاملات والمبادلات السلمية والتكاملات الانتاجية،فأوربا بحاجة للشرق والشرق بحاجة إلى أوربا فالتركيبة البشرية مفصلة للتعايش والتبادل مهما اختلفت الأفكار ولغات التفاهم ولون البشرة وبعد المسافة وليست مفصلة للتقوقعية.

فنحن في الشرق بحاجة لتقنية الغرب ومنتوجات الغرب وحتى أننا بحاجة إلى المنتجات الزراعية والرعوية والمعادن الدفينة عندهم وأوربا بحاجة إلى مصادر الطاقة

ودفائن الأرض التي تختلف عن دفائن أوربا ونحن وهم محتاجون إلى منتجات الهند والصين وغير الهند والصين.

وفي إيراد الوحدة الإنسانية المفعمة بالعدليات التي تمور فيها نفسيات من أعمار شتى. ومن جنسيات متعددة لمصداقية واضحة على مزجية قوية حقيقية أصيلة في النفس البشرية المعطاة بالخير للميل إلى التسامح العام والي الخير الشامل وإلى التعاون المثمر. ولاتي بمثال من بلدنا سورية ففي ماضيات الأيام كان الجو العام في سورية يعبق بالحنق الشديد على فرنسة وعلى قوات فرنسة وعلى جنرالات فرنسة وما أنزلوه من انفصالية مقيتة في بلاد الشام، وكنا ننعت نحن الصغار -فرنسة والفرنسيين بمجموعات منتقاة من التهم ومن الدعاء إلى ا لله أن يسحق الفرنسيين وينزل بهم كل الكوارث والمصائب، وذلك الدعاء الذي لو استجيب له من ا لله لذهبت فرنسة من خريطة العالم ولكن الأم الصالحة كانت تتصدى وتقول خففوا من غلوائكم فما ذنب الفرنسيين كلهم؟ -وتتابع أنهم أهل كتاب اصحاب دين سماوي وهم ذوو حضارة ولو كنا متعلمين لما دخلوا بلادنا، فلا نملك عندئذ إلا أن نلوذ بالصمت متمنين من ا لله أن يهدي جنرالات فرنسة ليخرجوا من بلادنا طوعاً.

وهذه الأم الصالحة ما كانت تنتهي من طعام في أي وقت إلا وأنهته بالشكر لله على نعمائه التي لاتنتهي وتختمه بالدعاء المأثور والمفضل لديها [إلهي مثل ماكفيتنا أكف كل أمك] فنحتار بهذه السيدة الجليلة وتحتار معها بعض النسوة أيضاً، فلم تشمل بدعائها كل الناس؟ والأديان والملل والطوائف حسبها آل محمد وآل عيسى ولكن منطقها السماوي العبق بمنطلق الإنسانية كان يسكت بقية النسوة ويسكتنا نحن الأولاد ففي منطقها لا يوجد كفار ولكن يوجد كافر واحد هو الجوع.

فلقد مرت بمآسي الحرب العالمية الأولى وهي تسمى السفر برلك بلهجة العصر في زمنهم؟

ورأت مناظر الجوع وآثاره ولم ترض به لأي من خلق الله.

والنقطة الثانية ذات الأيدلوجية الإنسانية التي كانت تعتنقها تلك الأم الصالحة "إن الله هو الذي خلق كل الناس ذوات الألوان المختلفة والسحنات المتعددة ولو لم يكن هناك من موجب لخلقهم لما أوجدهم في صور شتى وفي اماكن متقاربة متباعدة و"الخلق كلهم بجنسياتهم المتعددة وأديانهم المختلفة هم من خالق واحد وكلهم ينضحون بإنسانيتهم وتنهى جدليتها المتناغمة مع اعتقاداتها العميقة "إنا خلقناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا ......".

هل هذه الأم العربية الصالحة تكتفي بوحدانية الإنسانية وبشمولية الإحسانية للكفاية المتعلقة بحاجات الإنسان الضرورية من طعام وكساء وشراب؟! كلا كانت تضيف لذلك انتهاجية الأمن "ربنا أمنا في أوطاننا وأمن الجميع في أوطانهم".

وفي مجال التوافقية العقائدية تقول "كل الأديان وكل الفلسفات تدعو لخير الإنسان" وتضيف "لافرق بين المسيحية بكافة فرقها والإسلام بكافة نظرياته إلا بالشهادة الثانية وتعني بها محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم.

إن هذه الأم من فئة كبيرة تمثل نواة تساعد على التفاهم العالمي في عصر الحداثة الذي انبثق عن تبسيطات متناهية في الوحدانية لمصلحة الإنسان من غاية الوجود وباختلافات هائلة لاتبقي وتذر؟

هذه المرأة من عندنا "نحن"

[ومن عندهم] شاهدت ولمست ملامح إنسانية في شعوب أوربة دونتها في جريدة العروبة الحمصية

وقبل الأربعينات كانت فرنسة دولة هائلة القوة مهابة الجانب وهي منتدية على سورية في كل مدنها آنذاك ومنها مدينة حمص وسط القطر العربي السوري، ويظهر أنه كان للمدينة القريبة من الساحل ومن البادية على السواء أهمية استراتيجية كما كانت زمن فاتحها المسماة باسمه مدينة خالد بن الوليد. ولأهمية هذه المدينة أعطاها الفرنسيون اهتماماً مميزاً فسكنت فيها عائلات كثيرة، ففي جانب بيتنا بيت متميز بحداثته ولذا سكنته أسرة فرنسية يظهر أن راعي هذه الأسرة ضابط بسيط والمهم أنه حدثت مجابهات طفولية بيني وبين ابن هذه الأسرة فكان. يتحداني "vive la france" فعلمت أنه يحي بلده فلم لا أحي بلدي Vive la Syrie أيضاً فعلاً صراخنا فادخلتني آلام خوف الصدام ولكن الأم الإفرنسية اقترحت أن يكون النداء المشترك vive la leberity تحيا الحرية فرحبت بالحل بعدما علمت من كبار فتيان الحي أننا نحي الحرية فشكراً للأم الفرنسية الطيبة.

وفي نفس الفترة كانت تترامى إلى أسماعنا سمفونيات إنسانية لتجنيد فكرة الحريات فهذا افرنسي أصيل رفض أن ينفذ شيطانية التعليمات الزجرية بحق الوطنيين السوريين فنالته التزيلات المرتبية في وظيفته وهناك بولوني جريء في الجيش الفرنسي ضمن الفرقة الأجنبية نالته العزلة السجنية عندما لاذ بإنسانيته و لم يقاتل من يحب الحرية كما أحبها في بلاده، ومغاربة كثيرون في الفرقة الأجنبية لم يقفوا في سلبية الامتناع عن مقاتلة الوطنيين السوريين بل انقلبوا إلى الإيجابيات التعاونية لأخوانهم العرب السوريين فقاتلوا في صفوفهم ضد فَرْنَسة سورية.

أليست هذه كلها تثبت بأن الميل إلى الخير أكثر لدى تلقائية الإنسانية من الميول التي تدحر العواطف الإنسانسة الخاصة بالحريات ومن الميول المجحفة والمتعلقة بالمصلحية النفعية بحسب.

وأعود إلى منتصف الثلاثينات فقد أقيمت زينات وانتشـرت موسيقي جذبت الصغار والكبار في مدينة حمص لاحتفال أقامته السلطة الفرنسية المنتدبة ويظهر أن فتى سوريا اقترب من الأمكنة المخصصة لأصحاب السلطة والنفوذ أكثر مما يجب به فنالته ضربات موجعات لاموجب لها من جندي الحراسة الجاهل فإذا بسيده أرمنية سافرة وسيدة تركية نصف سافرة وعربية متحجبة ينهرن الجندي الجلف دفعة واحدة كل واحدة بلغتها كأنهن اتفقن على الدفاع بـ كمبيوتر حديث مبرمج!! إلا نرى في هذه التلقائية الإنسانسة التي بدرت من هؤلاء جميعاً أنها رد على الانعزالية وعلى الانكفاء على التقوقعية المغلقة!! وهذه التلقائية هي بالتالي ضد الترفع وضد التعالي؟ وضد الظلم؟ ومن ثم هي مؤشر للميل إلى المساواة والتعاون والعيش المستقبلي القائم على المصلحة العالمية عند كل البشر.

سأورد فيما بعد بعض الماثورات الشعبية وأنا أعول عليها في بحثي لكنني استبق ذلك بذكر الاستراتيجية العتيقة للدول ذوات المطامع إذ كانت تنزل أقصى أنواع الضرر والأذى بأعدائها: وفي القديم كان الأشوريون يسلخون جلود اعدائهم أحياء وينزلون العقاب بالأشجار حرقاً وقلعاً وبالأرض ردماً بالملح.

وفي حروب الأندلس أنزل بعض الإسبان أشد أنواع الأذى باصحاب الحضارة العرب فأضروا بذلك سريان الحضارة في بلدهم وانتقصوا من انسانيتهم في الأذى الذي ألحقوه بالعرب بناة حضارة الأندلس.

والكل يعلم أن الإجحاف والقسوة في إصدار الأحكام الجائرة يؤدي إلى نتائج عكس ما أراد مقترحوها فالأحكام الصارمة لمعاهدة فرساي مع ألمانية ودول الوسط في الحرب العالمية الأولى، لإبقائها ضعيفة، أدت بعد إلى ردة فعل مواتية لظهور النازية من ثم لقيام الحرب العالمية الثانية. وحان الآن أن أورد من المأثورات الشعبية

مثلاً بسيطاً في تشكيلته واسعاً في فهمه وشموليته ومعناه المثل يقول "إذا كان جارك بخير أنت بألف خير" وياتي بشكل آخر ايضاً إذا كان جارك بخير ينوبك منه خير وإذا قلبنا المعنى "إذا لم يكن جارك بخير فلن يصيبك خير" ولنأتي بمصداقية مثلنا من التاريخ الذي يمدنا بفيضيه وافرة من الأحداث.

لو كانت القبائل الجرمانية المجاورة لروما في وضع ثقافي مناسب ولو كانت في بحبوحة من العيش لعاشت مع الرومان الغربيين المجاورين لها بصفاء ولكنها كانت في موضع قوة غاشمة وهي متخلفة في نواحي العيش والسكن فبهرتها ثروة الرومان وبذخهم فحسدتهم ونالت منهم وقضت على امبراطوريتهم. في الشرق عندنا وفي قرب العاصمة العباسية بغداد. كان السكان البغداديون وخاصة الأثرياء منهم يعيشون في قمة من البذخ، ويتركون عبيدهم الزنج يتضورون جوعاً، ويعانون أمراض المستنقعات وصعوبة السكن أي أنهم تركوهم في بلاء و لم يتركوهم بخير فنالهم الأذى، والشعراء يذكرون ذلك الأذى الكبير الذي لحق بالبصرة في أهلها فقراء وأغنياء من انتقام الزنج. والقرامطة ما كانوا ليظهروا ولتشتد شوكتهم وتطول مدة وجودهم لولا وجود خلل في التعامل بين الجيران الأغنياء الموثرين والفقراء المعدمين.

لنرجع القهقرى إلى نفس المنطقة وإلى زمن خلافة عمر بن الخطاب أصر هذا الخليفة على إبقاء الأراضي بيد أصحابها أهل الذمة وتركها أرض خراج فقال ما معناه: ماذا نترك لمن ياتي من بعدنا ... وعند تقدير الجزية على اهل الذمة أرسل ما نسميه في وقتنا "أخصائياً" وزوده بكلمته الخالدة في الرفق في وضع الضريبة المعتدلة على اهل الذمة "أترك لهم لحوماً يعقدون بها شحوماً" وزاد في ذلك [اترك لهم درهماً أبيض ينفعهم في يوم الحاجة] ولذلك هنأ الجميع من الجيران العرب الفاتحين

والذميين أصحاب الأرض في ساحة المساواة بين الجيران ضمن عدليات عمر المتعددة. ولم تقم مشاغبات ولاثورات بين الجيران أما الخلافات الأخرى التي حدثت في زمن الأمويين في نفس المنطقة فأسبابها معنوية سياسية على الغالب وقامت بين الفاتحين العرب أنفسهم وليس بينهم وبين جيرانهم من أهل الذمة.

لقد تعدت العناية بالجيران زمن صلاح الدين الأيوبي لتصل إلى خصومه من الفرنجة فقد فتح مطابخ جنده لجند خصومه عندما شعر بالجوع يفتك بجنود جيرانه الفرنجة.؟!

ألا نرى في ذلك مصداقية المثل بأننا نحن وهم إذا كنا جيراننا طيبين لعاد ذلك بالخير علينا كلينا.؟!

إن النفس البشرية تأبى إنزال الضرر بالآخرين بدون مبرر وهي بالتالي ميالة للتعاون والتآزرحتى من قبل هؤلاء الذين بقوا على الفطرة في بعض مجاهل أفريقيا فقد قدموا مساعدة محسوسة بسيطة بدون مقابل لإفراد سقطوا في حوادث طيران وذكرتها عندئذ وسائل الإعلام دليل أن ميل الإنسان لعمل الخير هو ميل فطري.

يود كل فرد أن يعيش، وهذا ميل فطري وأكيد وطبيعي ومن حقه أن يعمل ما بوسعه للحصول على الأسس المعيشية التي تصبو إليها نفسه، ووجوده منفردا أو مع جماعته الذين يعيشون معه ولكن دون إنزال الأضرار بالآخرين هكذا تقول المثل والقيم الخيرة. ولكن المجتمعات التي تجنح إلى التعديات على المجتمعات الأخرى فستبتلى هي الأخرى بآخرين أقوى واشد منها وليسود قانون الغاب وليسود قانون الفتك والضرر المنافي للفطرة الإنسانة. مالعمل إذا؟ نطبق مبدأ "عش ودع الآخرين يعيشون" في هذا المبدأ القديم الجديد تنبثق إرداة الوجود الإنساني لكل بني البشر وتقدم بني الإنسان على هذا الكوكب. ما جدوى معيشة مجموعة من الناس أو

الجماعات الفنية المنتجة في بحر زاخر من الجيران الضعاف الذين لايستطيعون مبادلاتهم بسلعهم التي ينتجونها؟؟ لأنهم جردوا من كل قوة على الشراء، وعلى العكس من ذلك، إذا قدم هؤلاء الذين ملكوا الانتاجية والخيرات المتنامية شيئاً، مما ملكوا لمساعدة جيرانهم، الذين تخلفوا لتشابكية من الأحداث والظروف المتعددة لتقدم الجيران ولاستعادوا قوتهم الانتاجية وتقدمهم العلمي، ولاستطاعوا هضم ماقدم لهم جيرانهم من انتاجية متطورة تعود على الطرفين بالخير والازدهار.

وهنا سأضطر لفتح ثغرة في النظرة التوافقية مع "نحن وهم" عندما أذكر عمل لجنة أو تقرير المائدة المستديرة المسماة **H.K.Baterman** والتي عقدت في أعوام /١٩٠٥-١٩٠٧/ كتقرير استعماري انكليزي أوصى بحجب كل معلومات مفيدة عن أنظار العرب لأنهم المرشحون أن يؤلفوا امبراطورية التقدم المستقبلة في العالم. استعين بالمأثورات ثانية وهي ذاكرة الشعب وفلسفته وقيمته في هذا المثل: "كون بدوّ يعمر" أي أن الكون شئنا أم لم نشأ سيعمر فهذه سنة الطبيعة والكون. إن هذا المؤتمر التشاؤمي الذي دخلته بريطانية في تقريرها حجب المعلومات عن العرب انتهجت فيه عنصرية مقيته وأغلقت الباب أمام كل تحسينات نبتغيها في اختراع مفيد لبني الإنسان وتكون بذلك سبقت النظرية النازية الفوقية ولما احتاجت الدول إلى سرقة أدفعة المفكرين من الدول الفقيرة التي سنحت لهم الفرصة لينالوا العلم في جامعات أوربا وأمريكا وظهرت عبقرياتهم.

إن إنزواء أية مجموعة مخترعة على ذاتها محكوم عليها بالجمودية الإنطوائية الفكرية، على عكس الانفتاحية المتطورة التي تتبع منهجية سائرة في ركاب التقدم الدائم في كل مجالات الاختراعات السلمية وغير السلمية في حقول الأعمال الآليته والإدارية والتعليمية والتربوبة.

إن العقول الجديدة، قد تأتي باسلوبية مبتكرة جديدة، تفيد منها العقول الرتيبة التي تسير وفق منوالية متوارثة ومندرجة تحت غطاء الاحترام الصارم والذهنية الموافقة لفترة زمنية بعينها، ارتبطت بظروف وحاجات متعددة، نشأت في اثرها ظروف متجددة تنقضها حاجات ماسة مرتبطة بزمن جديد وبتحديات مختلفة.

ونجد أنه إذا انزوى كل مجتمع ينتمي إلى عالم بعينة، وإلى أمكنة بعضها محددة ضمن أسوار الانكفاء والانطوائية، لانطوى كل مجتمع على معلوماتية خاصة به، قد تميل إلى التجمد ومن ثم إلى الانحدار، على عكس إذا تطورت العلاقات وتلاقحت الأفكار والأسلوبيات التي تنتهي باستمرار إلى التقدم والازدهار، كما حدث في التعاون في مجال الفضاء بين الولايات المتحدة والسوفييت قبل أن يتبعثر الاتحاد السوفياتي تحت راية مارد إدارة التغيير.

وفي هذا المجال فليطمئن الأوربيون وغير الأوربيين إلى أننا ننهج منهجية ذات وجه واحد تجاه أنفسنا وتجاه الآخرين ضمن مبدأ "من غش ليس منا) إن كل من أوتي تربية وثقافة بسيطة يعلم أن الغش عاقبته وخيمة، وأن الصدق والصراحة في التعامل مع أهل البيت والجيران هو صفة خيرة ولازمة لاستمرار التعامل الإنساني، ولكن الجهل هو الذي يؤدي إلى المزالق والتعويقات بين الأهل والجيران، وسأعطي الجهل شيئاً من الدراسة فيما سوف يأتي.

[الجهل بقيم الآخرين]

اتجه الآن إلى التأكيد على القيم كنظام وسياق في التعامل وإن كان يقوم كثير من الجدليات حول استعمال هذه التعريفات المعنوية، وكنت أحذر أن أستفيد منها في أبحاثي التاريخية معتبراً إياها ضمن الفرضيات الاجتماعية والتطبيقات الاجتماعية والنفسية ولكن الأستاذ رينيه بيرجرون الفرنسي كان يؤكد على مصداقية التعامل

في أوراق التاريخ العربي والإسلامي كأساس للعلاقة الإنسانية المتبادلة ويؤكد مصداقيتها وعفويتها ولو بدون المعاملة بالمثل ويأتي بقطاعات احداثية خلال الحروب الصليبية يعتبرها ثوابت للدفاع عما الحق بالعرب أحياناً من اتهامات باطلة تلحقها بهم مشبوهة ذوي الأغراض المصلحية الضيقة الآفاق.

قام أوغست بيل الألماني ايضاً ينفي الاتهام الباطل الذي لحق بتعاليم القرآن الكريم بأنها تدعو إلى عدم الوفاء بالوعد تجاه الآخرين ويتابع قوله بأن من رأى الفقهاء اطلاق سراح الرهائن حتى وإن نقص الجانب الآخر الاتفاقات المبرمة.

لاتأتي بهذه الآراء لنظهر تفوقية ما نعتقد ولكن ليكون نبراساً للتعامل مع الآخرين وفق ما لديهم من أيدولوجيات أخلاقية نلتقي مع الأخلاقية التي تسود لدينا وهنا استعير ما ورد في المقال الافتتاحي لمجلة الوحدة رقم ٤١/ص (   ) إن الدين يظل مورداً تربوياً أساسياً يدفع بآمال الناس إلى التحقق في عالم آخر كما أنه يظل مخزن القيم الأخلاقية النبيلة والسامية التي تدعو إلى الإخاء والمحبة والتعاون مما يجعله يلعب دور ضابط للسلوك ومعادل أخلاقي لكفة الخير عندما تطفح كفة الشر الواقعي.

لا شك أن القيم الخيرة تسود في أفكار المستنيرين معتبرين أنها الطريق السليم للتعامل مع الآخرين وأنها منبثقة في أفئدة كل اهل المعتقدات الخيرة في الأديان السماوية وفي حكم الحكماء وإن كانت تتفاوت من حيث شموليتها لأصحاب هذا المعتقد أو الخارجين من نطاقه، والمهم في هذه المعتقدات أن لاتكون في مضامينها تعاملية ثنائية تنال أصحابها بالخير والحق وتصب جامع غضبها على الآخرين.

وهنا وحتى لاتسود الآراء الضبابية، استجلب قولا فائق الدقة والوضوح للتعريف بطريقة التعامل العام مع "نحن وهم"، ورد على لسان رجل محرر من

رجال عمر بن الخطاب الذين اصطفاهم للتعامل معه، إذ ولاه جند حمص وكان أكبر الأجناد عندئذ إذ تطال ساحة فضائه عدداً كبيراً من المدن والقرى والأنهار والديار حتى يصل إلى عمق المجال البزنطي عند السنة العشرين من أعوام الهجرة، هذا الرجل هو والي حمص واسمه عمير بن سعيد من أقواله "إن الإسلام حائط منيع وباب وثيق، فحائط الإسلام العدل، وبابه الحق ... ولايزال الإسلام منيعاً ما اشتد السلطان وليست شدة السلطان قتلاً بالسيف ولا ضربا بالرماح ولكن قضاء بالحق وأخذاً بالعدل" وفي البلاذري ص(١٤٣) إن عمر بن الخطاب وجه عميراً إلى بلاد الروم وولاه الصائفة وفتح عين الورد .... واجتاز نهر الخابور حتى قرقيسيا، ويهمنا ذكر تتمة ما دون عن عمير فحسب "وأضعف الصدقة على نصارى تغلب حتى يبقوا بأرضهم ولايلحتقوا بالروم] ولا أعلق إلا بكلمات قليلة: أليس هذا ضمن مبدئية "الحق والعدل"، وهو يصبح كعلاقة دولية ومبدأ تشريعي عالمي، وضمن الساحة العالمية للتعامل. إلا يذكّر قول هذا القائد مفكري العالمي ومنظري السياسات التوافقية بأن استمرار التعاون والتآلف مفتحه الأبواب، ممهدة الطرقات، للتعاون الإنساني. للمرحلة الأولى يعتقد المرء أننا أتينا على ذكر ترابطية مبدئي "الحق والعدل" بالعرب وبالإسلام أو حصرناه لعمير بن سعيد، وربما قال قائل: هذا القائد أغرى عرب تغلب من غير المسلمين للبقاء في ميدان منطقته ضمن فائدية الاقتصاد، أو أننا أتينا بالحادثة والمبدئين زهواً وفخراً، أننا بالواقع هدفنا من تثبيته الحادثة وإيرادها أن نبين إمكانية اتباع مبدئي الحق والعدل كأساس للتعامل بين "هم ونحن".

ما جرى من أحداث من 1400 عام في اقصى البلاد الشامية على منابع نهر الفرات ودجلة والخابور، يمكن أن يتخذ كاساسية من أساسيات عديدة، تبنى

قواعدها أسس التفاهم الدولي الذي نحن وهم بحاجة ماسة إليه، بعدما ذهبت أرواح الملايين من الأبرياء مـن إجرائيـة الطغمـة الـتي لاتنظـر إلى أبعـد مـن أرنبـات أنوفهـا المزكومة بالجهل والتسرع، وربما بالحسد والحقـد الدفينـين والـتي تضحـي مـن أجـل مصالحها الآنية بأعز المقربين إليها.

قال بيرجرون الأستاذ الفرنسـي المشـهور أنـي استعين بالتـاريخ العربـي لآبـين أخلاقية العرب الفاضلة وعدالتهم السابقة والتي أنفي عنهم نظرية التعصب، أمـا أنـا فاستعين بتثبيت الحوادث التاريخية عند العرب وغير العرب وآتى بأمثلة مستمدة مـن أناس بسطاء، وكثيراً ما أعول على الأمثال الشعبية للتأكيدية التي لاتزعزعها عاصفية الآراء المشكلة أو الزائفة بالصفات الإنسانية، التي يمكن اعتمادها كمصداقية متمرسة بمقومات التعاون والتفاهم الضرورين، نعـود ونقـول: [إذا كـان جـارك بخـير فـأنت بألف خير].

وضمن مقولـة التفـاهم العـدل والإنصـاف واتبـاع العقلانيـة في تبيـان امكانيـة التعاون ضمن مبدأ:

مَنْ " عرف رأسماله باع واشترى" نحن نضيف "ومن عرف رأسمال غـيره" زاد من البيع والشـراء ففـي أوروبـة الخـبرات العلميـة في الميـادين الكيميائيـة والفيزيائيـة والميكانيكية والفكرية والسجل الهائل بالمخترعات، وعندهم المراعي الشاسعة، ونهـر متسع من حليب المواشي الهائلة العدد، وعندهم مخزون من المعرفة والمعـادن الثمينـة، وعندهم المال وعندهم التحديات وعندهم المصالح.

في الشرق عندنا السوق المتسعة التي تستطيع القيام بالتهام المصنوعات الأوربية، وعندنا من موارد الطاقة الكثير، الذي تحتاجه الإنسانية طاقـة وتدفئـة وعندنـا دفـائن الفوسـفات، وفي بلادنـا المعـابر التجارية لكـل أنحـاء العـالم، لاأسـتطيع أن أورد

احصائيات فهذه مهمة جماعة التعدادية والإحصائية والتفسيرية لدى المؤسسات والحكومات، ولكنني أورد مبدئيات العلاقات واستمراريتها ومصلحيتها لكل الفرقاء.

لكن ما يوجب التأكيد عليه هواننا "نحن وهم" وأكرر هذين المصطلحين بحاجة لبعضنا ضمن تقاسم الخبرة وعموميتها لاتقوقعها واستعمالها كمخباطية كريهة، والإقناعية المنبثقة عن الوعي المنير لمصلحية الفرقاء ضمن المساواة بين كل البشر (وخلقناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا).

[آراء المؤرخين]

في إطار التاريخ نستنير برأي مؤرخين عظيمين أنجبهما هذا العصر أولهما السير ج أرنولد توييني الانكليزي صاحب الفكر الغني والمتسع الأرجاء والمتعدد المواضيع في الأبحاث التاريخية والتفسيرات الانقلابية، في البنية العضوية للإمبراطوريات، والأحداث التاريخية للأمم والشعوب المختلفة، وأهم كل هذا أسباب نشوء الحضارات وانهيارها وتأكيده المبرر على أهمية التحديات في نشوء الحضارات.

أما ثاني المؤرخين فهو بييررونوفون Renouvon pierre الفرنسي أستاذ التاريخ الحديث في السوريون 1933 وعضو المعهد الفرنسي الذي اتصف بعمق البحث وحيادية المؤرخ ونزاهة القصد والذي فسر مواقف الدول وخاصة الكبرى، بمصالح مستديمة، ومشاغل مرتبطة بالشروط الجغرافية والديموغرافية والنفسية.

هذان المؤلفان المؤرخان اتسعت مجالية أبحاثهما وكتاباتهما التاريخية، ولذلك فإنه لسبب أو أكثر لاتكاد ترد حادثة تاريخية أو اجتماعية إلا وترد إلى ذهني تحديات ج أرنورلد أو "التونيية" أو تستحوذ على ذهني فكرة المصلحية والشاغلية

لببير رونوفون أو الرونوفية ولاترد أعمالها الكثيفة والمدققة والمتسعة إلى ذاكرتي إلا عند محدودية الحدث أو خصوصيته.

وكثيرون مثلي صاروا يفسرون الأحداث التاريخية عندما تقع بالتحدي و بالمصلحية أو بالتويبية والرينوفينية حتى يشمل ذلك الأحداث الودية بين الناس والجماعات، ولتطال القضايا الاجتماعية والعاطفية والثقافية.

فإذا سلمنا بالمصطلحين أو بالنظريتين التوينبية والرونوفية كمنارتين في العلاقة المستقبلية بيننا وبينهم، وهم بالمجال الضيق أوربا وبالمجال الواسع أوربا والصين فماذا ينتج؟ وكيف نرى الأمور على ضوء منطوقية كل نظرية؟ ولنبدأ بالتحديات التي تقابل العالم كله وهي ثلاث **أولاً** إننا أمام ماورد جديد قديم يتمثل بأسلوب البلع والقحط والإتلاف الرهيب لموارد الطاقة: فحم، بترول، أخشاب إلخ .... ولموارد الأخشاب والغابات ولموارد المعادن الحديد والرصاص والنحاس - والإسراف الهائل لبعض المجتمعات في موارد الغذاء والكساء النباتية على السواء. **ثانياً** إننا أمام مارد آخر يتمثل بتلوث البيئة تربة ومياه وجوا وهو لايقل عن تحدية المارد الأول إن لم يزده وهو بطريقة أو أخرى ناتج عن التحدي الأول. أما **المارد الثالث** فهو الجهل بتبعات الأمم الأخرى والجهل الداخل للجسم وللنفس البشرية ومعرفة كوامنها وأمراضها وأبعاد البؤر التي تؤدي لأمراض العصر مثل "الأيدز" وهناك التطرف وهناك الفقر وهناك الظلم .... وغيره.

إن التحديات التي تقابلنا كثيرة ومتجددة وليس وقوفنا أمام هذه التحديات يوصلنا إلى حضارة جديدة ولكن يبقى علينا البقية الباقية من الحضارة العالمية السائدة. إن أمة واحدة لاتستطيع أن تتغلب على هذه التحديات بل لابد للجميع وعلى قدم والمساواة أن يجهدوا ويجاهدوا ويتعاونوا للقضاء على تحديات العصر.

أما منطوقيتنا " للرينوفينية" المصلحية فنقول إن هناك جملة مصالح توجب علينا وعليهم التعاون فيها من أجل مصلحتينا المشتركة على ضوء التعاون والتآزر في جملة من مستقبليات التعامل التعاوني الدولي،القائم على التوازن والمساواة في عالم الغد. توازن المصالح مبدأ جديد ندعو إليه يبنى على تكامل المواد التي تزخر بها الطبيعة هنا ولاتزخر بها هناك فبالتكامل في المواد مصلحة للجميع وليس في الاستئثار والقهر.

مصلحة كل طرف مؤمنة ضمن المبدأ الشعبي [إذا كان جارك بخير فأنت بألف خير] فبقدر ما تتحسن الحالة المعيشية لطرف ما تزيد لديه فائضية مادية تستجر سلعاً من الطرف الآخر الذي تعمل مؤسساته اعتماداً على تكافؤ الفرص أمام كل الأطراف. إن ما تنبثق به الطبيعة كافٍ لكل الناس إذا أحسنت العلاقة وتحسنت الكيفية العدلية بين الجميع وعوضاً أن يضيع الفرقاء جهودهم ومجهوداتهم في صرف الطاقة للصراع والخصام تتجه مثلهم نحو فائدة الجميع "عش ودع الآخرين يعيشوا" يتمثل مبدأ "كون بدو يعمر" وتتجه الأنظار كل الأنظار نحو عمار هذا الكون لاتخريبه وزعزعه أركانه وإفقاره إن مصلحية الـ "رونفونيه" إذا سادت ضمن مبدئي الحق والعدل الدوليين سيؤدي إلى تأمين مصلحة الجميع ضمن عصرنة ميدانها.

١- التقدم لمصلحة كل الناس بدون مواربة ولاتلاعب بالكلمات (شطارة) توقع الآخرين في حبائل المهرة من رجالات بعض الدول وأخصائيها المندرجين تحت مظلة الدبلوماسية الماكرة.

٢- القيم الأخلاقية الرفيعة ولنقل الوجوبية الزاجرة لأساليب التحايل والأخذ بفكرة الحفاظ على المدخرات الكونية في كل مكان وعدم الإسراف في بعضها على حساب البعض الآخر واعتماد إن الإنسان أغلى ما في الوجود سواء أكان ابيض أو

أسمر أم أسود فما اختار إنسان لونه ولكن ا لله والطبيعة أوجداه على هذه الشاكلة.؟!

لقد أراد المفكر تايلور .. إن يريح العمال ويقضي على متاعبهم ويقلل من جهودهم فطلع بنظريته الثلاثية فإذا به يصيب العمال بالصميم فيرهقهم أصحاب المعامل بالأعمال الفنية ويسرحون ثلاثة أرباعهم اكتفاء بالقلة المنتجة منهم. لانريد "لنا" واقصد "نحن" أن يصيبنا من الاتفاق ما اصاب العمال من "تايلورهم" لذلك نؤكد على برمجة علاقات مستقبلية قائمة.

١- على المساواة العامة بين كل الفرقاء وعناصر كل فريق وهذه المساواة يمكن أن تقوم بالتربية والمعرفة فالجهل يكون العدو اللدود لكل تعامل، فنحن نكره ما نجهل ونخاف مما نجهل فإذا انحلت عقدة الخوف عرف الكل مزايا الإنسان الفطرية الطيبة التي أتيت علي أمثالها في مقدمة البحث.

٢- ليس المقصود بالجهل تعلم الكتابة والقراءة والتفكير ولكن الجهل هو عدم فهم قيم الفرقاء الآخرين الذين يعمرون الكون أن مصلحتهم بتفاهمهم وليس بصراعهم: القوة أو الجدلية التي لا طائل لها.

٣- إن المعرفية القائمة على الصدق والوفاق المؤدي لرفعة الإنسانية هدف نبيل وربطه بالتربية العامة عمل مجد لكل الأمم إنها مصلحة الأمم بتفاهمها وليس بصراعها وتغلب بعضها على بعض.

ونحن بقيمنا واثقون من أنها واضحة منيرة ويكفي ميزان متزمت "من غش ليس منا" فهل الغرب مستعد لمصداقية هذا الاتجاه وقد تحدث فيه كثيرون من المفكرين منهم ؟! إننا في مشرقنا الآسيوي وشمالنا ستسير فيه الإفريقي فهل الغرب سيسير على نفس منوالية هذا هذا التكامل نرجو ذلك!!.

من طبيعة الإنسان أن يخطىء أحياناً ولو بحق نفسه، وقد يقع في تناقضات ومزالق، تؤدي به وبمن معه إلى الخسارة والخذلان وقيام الخلاف والخصام وربما الصراع، فمن الضروري جداً أن لايصل الفرقاء إلى هذا الدرك، إن الإنسان ليس ملاكاً إنه يخطىء، ولكن التمادي في الخطأ يؤدي إلى قطع العلاقات الإنسانية، هذا الخطأ نريد أن نبعده عن أفق التعاملات الفردية ومن علاقات الجماعات لأنها قطعها أعم إذى من قطعها مع الأفراد.

وهنا أورد رأياً لمحام يمت بصلة القربى فكان يقول لجلسائه ومراجعيه دوماً "إذا انعقد خيط الاتصال بينك وبين الآخرين فحاول فك العقدة بيدك فإن لم تستطع فبأظافرك، بلسانك، باية آلة ولكن لاتقطع خيط الاتصال".

لقد مات المحامي و لم يترك مالاً ولكنه ترك أصدقاء ومحبين،!! أتيت بهذا المثال لأذكر بفوائد دوام اتصال الناس والجماعات فاجتماعها واتصالها وتلاحمهما للبشرية فائدة كل البشرية.

أعود أخيراً لفكرة السير على مبدئي الحق والعدل الدوليين القائمين على المساواة والتوازنية الواحدية ضمن المساحة المتسعة للقيم الإنسانية الخيرة واقول إن ما يسود في العائلة المتحابة خير لها وإن خير الإنسانية منوط بالمفكرين العظام الذين لايحيدون عن مصداقية الحق والعدل وإنهم مثال يحتذى لكل الناس فالإنسان أخ الإنسان شاء أم ابى.

يقولون إن العالم قرية كبيرة متباعدة ونحن نقول:نريد لهذه القرية السلام والعدالة والحق لا الخصام والصراع والمطامع كعلاقة مستقبلية، توحي بعض الظواهر الاجتماعية أننا سائرون تجاهها، فهل نسعد "نحن" ويسعدون "هم" في سلام دائم نرجو ذلك؟!.

إن مصداقية التعايش السلمي ضمن تحديات العصر تتراءى أمامنا بينة واضحة في قوميات مختلفة انصهرت في بوتقة المصالح الوطنية العامة،دولة واحدة هي سويسرة التي جمعت بين الإيطاليين والألمانيين والفرنسيين،وربطت بين مصالحهم أمام كل التحديات العابثة.

هناك نظام دول الكومنولت الانكليزي الذي جمع بين دول تضم شعوباً اختلفت ألسنتها وأمكنتها وديانتها، لكنها واجهت التحديات، ووجدت مصلحتها في تجمعها بشكل يؤدي إلى منافع عامة، وهناك أمامنا الآن الكومنولت الإسلامي بعد تفكك الاتحاد السوفييتي وهناك تجمعات دول السوق الأوربية المشتركة، حيث وجد رجال هذه الدول ومنظريها فائدة دولهم في ترابطهم في مقاطع يضم مصالحهم المشتركة.

لذلك نجد بوضوح إمكانية تعايش سكان كثيرين من سكان هذا الكوكب ونقيم في شمله "نحن وهم" ضمن العدالة والحق والمساواة، على شرط أن ينتفي الظلم المقيت، الذي ينزله البعض بالبعض الآخر، في حبل معيق، ثم تتبدل الأحوال والمتغيرات فيطال هذا الظلم البعض على يد من ظلموا أو على يد بعض جديد دخل ميدانية الظلم والظالمين.

إنها نظرة اخلاقية ودينية أن يحيق الظلم بالظالمين بطريقة ما وبأسلوب ما. وباستقراء للأحداث فإننا نرى حتمية أن ينال من أفسد العلاقات الإنسانية بظلمه أن يلحق الظلم به أكان فرداً أو جماعة أو شعباً ويمكن تقديم أمثلة متسعة في هذا المجال.

لذا كفى البشرية ظالمية ومظلومية وليعيش الجميع ضمن نظامية الحق والعدالة والمساواة.

الحواشي ولفت النظر

(1) فكك الرئيس ميخائيل غورباتشوف الاتحاد السوفياتي بدون خسائر تذكر بينما كلف أدلوف هتلر زعيم ألمانية النازية 1933-1945 الإنسانية ملايين الضحايا البشرية في الحرب العالمية الثانية (1939-1945) من أجل تفكيكة.

(2) من البلدان العربية في شمال افريقيا: مصر والسودان والصومال واريتريـة وليبيـة وتونس والجزائر والمغرب وموريتانية ،وفي المشرق سورية ولبنان وفلسطين والأردن والعراق والسعودية والكويت واليمن وعمان والإمارات وقطر والبحرين.

(3) وعلى راسها انكلترة فرنسة إيطالية إسبانية؛ وهناك ألمانية والنمسة بالإضافة إلى دول الشمال والدول السلافية فإنها تلقى الاحترام من الشعوب العربية لأنها لم تكتو بمصاعب معها.

(4) قرآن كريم

(5) للتوسع انظر كتاب الأمثال الشامية في منطوقها الحمصي طبع وزارة الثقافة السورية ١٩٩١.

(6) تراجع في ذلك كتب التاريخ المنتشرة في المطاتب والمدارس في أسباب قيام الحرب العالمية الثانية.)

(7) ثورة الزنج 255- 270هـ/ 833-869 م.

(8) حركات القرامطة وتطور نفوذها 286-476 هـ.

(9) حكم الأمويين في المشرق 41- 132 هـ /663-749 م.

(10) صلاح الدين الأيوبي وقد استمر حكم الأسرة 1171-1250 م / 567-748 هـ.

(11) وجاء ذكرها في مؤتمر المحامين بدمشق 1958.

(12) حديث شريف.

(13) رينيه بيرجرون محاضر فرنسي في جامعة السوربون ومعهد الفن والآثار وكلية جامعة نانسي وجامعة كان.

(14) أوغست بيبل أحد زعماء الحزب الاشتراكي الألماني هاجم الذين يصدرون أحكاماً غير موضوعية عن الحضارة العربية.

(15) المجلة الألمانية ص ٤ أيلول ١٩٦٨ مقال بقلم الدكتور هانزجو زيكة.

(16) تقابل بالتاريخ الميلادي (642).

(17) ندوة حمص التاريخية والأثرية عام 1984 في بحث الأسواق طبع وزارة الثقافة.

(18) جريدة الثورة السورية 1969.

(19) جورج أرنولد توينبي Tuwbe المؤرخ الإنكليزي الكبير وصاحب نظرية التحدي.

(20) بيير رونوفق roh vou pierre شغل أستاذ التاريخ من السوربون وعضو المعهد الفرنسي.

(21) tailor دارس اجتماعي واقتصادي ..... tAYLOR,THMTH , E,

(22) ثلاثية تايلور هي 1) اختيار أفضل الأشخاص للعمل. (2) اطلاع العاملين على أفضل الطرق لأداء العمل. 3) حفز العمال.

للتوسع يراجع كتاب مشكلات العمل والانتاج د. سليم نعامة - مطبعة عكرمة بدمشق ١٩٨١.

(23) حديث شريف.

كتب للمؤلف

- الأمثال الشامية في منظومها الحمصي وزارة الثقافة عام ١٩٩١.
- كتاب راغب الجمالي طبع دار طلاس ١٩٩٢
- كتاب القيم والأعراف الأخلاقية. الجمعية التاريخية ١٩٨٠
- كتاب ندوة حمص الأولى مع آخرين ١٩٨٤.
- حمص درة من مدن الشام – دار الذاكرة ١٩٩٥

كتب مستقبلية

١- إعلام ومعلمات من الشام حمص نموذجاً.

٢- أسواق المدن الشامية حمص نموذجاً.

٣- الأمثال الشامية في التراث العربي.

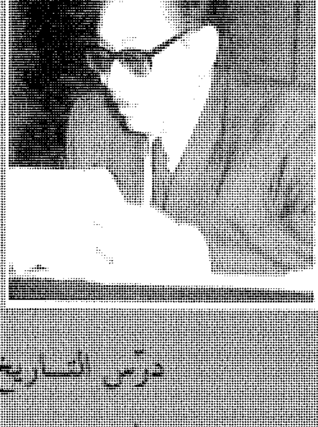
٤- نسائم تاريخية في حياة الأفراد.

للضرورة يتقبل مع المؤلف على العنوان التالي – محمد فيصل شيخاني – سورية – حمص –

ص.ب ١٥٥٥ ـ هاتف ٢٢٧٦٧٩

مطبعة اليمامة

سورية - حمص - هاتف ٤٧٨٥٠٠ - ص.ب ٢٧٥٩



تعريف بالمؤلف محمد فيصل شيخاني

درّس التاريخ وأصول تدريسه في حمص والسعودية.

أديب وباحث ومحاضر في الشؤون التاريخية والتراثية الأثرية.

له كتب وأبحاث ومقالات ولقاءات تلفزيونية وإذاعية.

عضو الجمعية التاريخية وجمعيات ثقافية عديدة.

أمين متحف الآثار الإسلامية في أوقاف حمص.

تتميز كتابته بالجدة والابتكار والدقة.

قيل فيه يكتب التاريخ بأسلوب أدبي والأدب بأسلوب تاريخي.

زار بلداناً عربية وأوروبية عديدة.

أوسع أعماله كتاب أعلام ومعلمات من الشام حمص نموذجاً الذي استغرق إنجازه ثمانية أعوام.

دار الحوار للنشر والتوزيع
سورية ـ اللاذقية ـ ص.ب 1018 ـ هاتف 422339

الناشر